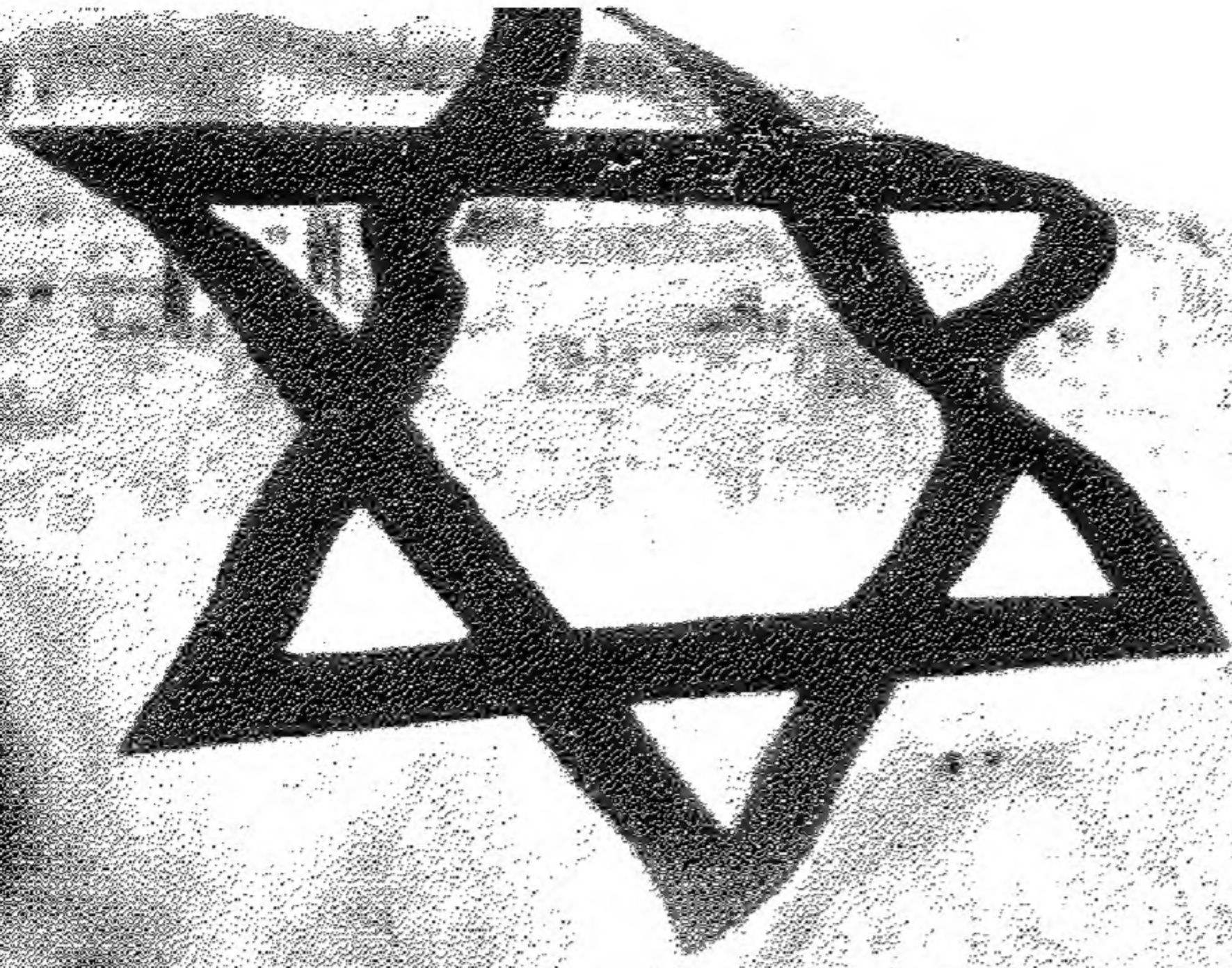


كتاب اليوم



# التعبد

كتاب يهز إسرائيل ويحطم أساطير الدولة اليهودية

عروض وتحليل  
أحمد حسني





دار  
أخبار اليوم

قطاع الثقافة

كتاب  
اليوم

يصدر  
أول كل شهر

رئيس مجلس الإدارة :

إبراهيم سعد

رئيس التحرير :

نبيل أباطة

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

□ عدد ٤٦٥ □

XXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXX

## أسعار كتاب اليوم الثقافى فى الخارج

● العنوان على الانترنت  
WWW. akhbarelyom. org/ketab  
● البريد الإلكتروني  
akhbar el yom@akhbarelyom. org

### ● الاشتراكات ●

جمهورية مصر العربية  
قيمة الاشتراك السنوى ٧٢ جنيها مصريا

### ● البريد الجوي ●

دول اتحاد البريد العربى ٢٢ دولارا  
اتحاد البريد الافريقى ٢٨ دولارا  
أوربا وأمريكا ٤٢ دولارا  
أمريكا الجنوبية واليابان وأستراليا  
٥٢ دولارا أمريكيا أو ما يعادلها  
● ويمكن قبول نصف القيمة عن ستة شهور  
● ترسل القيمة إلى الاشتراكات

٣ ( ١ ) ش الصحافة

القاهرة ت : ٥٧٨٢٧٠٠ ( ٥ خطوط )

● فاكس : ٥٧٨٢٥٤٠

● تليكس دولى : ٣٠٣٢١٠

● تليكس محلى : ٢٨٢

● قطاع الثقافة ٦ ش الصحافة

● تليفون وفاكس : ٥٧٩٠٩٣٠

الجمهورية العظمى	٢	دينار
المغرب	٣٠	درهم
لبنان	٥٠٠٠	ليرة
الأردن	٢,٥٠٠	دينار
العراق	٧٠٠٠	فلس
الكويت	١,٧٥٠	دينار
السعودية	١٥	ريال
السودان	٢٢٠٠	قرش
تونس	٢,٥	دينار
الجزائر	١٧٥٠	سنتا
سوريا	١٥٠	ل. س
الحبشة	٦٠٠	سنت
البحرين	١,٥٠٠	دينار
سلطنة عمان	١,٥٠٠	ريال
غزة	٢	دولار
ج. اليمنية	٣٠٠	ريال
الصومال، نيجيريا	٨٠	بنى
المغرب	٦٠	فرنكا
الإمارات	١٥	درهما
قطر	١٥	ريالا
انجلترا	٢	جك
فرنسا	١٠	فرنكات
ألمانيا	١٠	ماركات
إيطاليا	٢٠٠٠	ليرة
هولندا	٥	فلورين
باكستان	٢٥	ليرة
سويسرا	٤	فرنكات
اليونان	١٠٠	دراخمة
النمسا	٤٠	شلتا
الدنمارك	١٥	كرون
السويد	١٥	كرون
الهند	٢٥٠	روبية
كندا - أمريكا	٢٠٠	سنت
البرازيل	٤٠٠	كروزيرو
نيويورك - واشنطن	٢٥٠	سنتا
لوس انجلوس	٤٠٠	سنت
أستراليا	٦	دولار



كتاب اليوم

# التمرّد

كتاب يهز إسرائيل  
ويحطم أساطير الدولة اليهودية

بقلم: رونيت شاشام

عرض وتحليل

أحمد حسن



[REDACTED]

**الغلاف والتصميم الداخلي :**

**محمد سعيد سعيد**

[REDACTED]



---

## المقدمة

على مدى أكثر من نصف قرن ردد الإسرائيليون أساطيرهم التاريخية التي أقاموا عليها دولتهم .. وحرصوا على أرضاعها قطرة قطرة لأبنائهم جيلا وراء جيل .. هذه الأساطير سواء كانت دينية أو سياسية .. قديمة أو حديثة تكاثرت وتوالدت وتحولت مع الوقت إلى شيء أشبه بالحقائق الثابتة التي لا تقبل الجدل .. ويأتي « جيش الدفاع » على رأس أساطير هذه الدولة التي جعلت منه قدس أقداسها وسر بقائها منذ إقامتها وحتى اليوم وغدا .

ولكن رغم كل هذه الهالة من التقديس التي يحيط بها الإسرائيليون جيشهم .. خرج مجموعة من الضباط عن الصف وأعلنوا التمرد وحطموا الأسطورة .. وفي لحظة صدق مع النفس والضمير كشف هؤلاء الضباط عن سلسلة من أبشع الجرائم التي يرتكبها جيش الدفاع والتي تفوق مافعلته جيوش أعنى النظم الدكتاتورية في التاريخ !

وقف هؤلاء الضباط في وجه الجميع من جنرالات وحاخامات وسياسيين مخضرمين وشكلوا جبهة الضباط الرافضين للخدمة في الأراضي الفلسطينية ووقعوا وثيقة أحدثت زلزالا في إسرائيل مازالت توابعه مستمرة حتى اليوم .. وما كادت توابع الزلزال تهدأ مع مرور الأيام حتى صدر كتاب بعنوان « التمرد » للكاتبة

---



---

اليهودية رونيت شاشام لينفجر بركان مدمر اكتسحت حممه ما تبقى من أساطير جيش الدفاع بل والمجتمع الإسرائيلي ذاته .  
هذا الكتاب وهو أحدث وأخطر كتاب يصدر في إسرائيل يضم شهادات حية لتسعة من ضباط وجنود جيش الدفاع أعلنوا العصيان ورفضوا الخدمة في جيش الاحتلال .. لأسباب مختلفة أهمها أن ما يقوم به جيش الاحتلال في الأراضي الفلسطينية هو تجسيد حي لأبشع أنواع العنصرية والإرهاب وجرائم الحرب بالتواطؤ مع النظام السياسي والهيئة الدينية والنظام التعليمي وجميع أجهزة الدولة .

وإذا كانت إسرائيل تضع سيف معاداة السامية على رقاب الجميع في أي مكان في العالم ، فإن هؤلاء الضباط هم ساميون حتى النخاع ويهود أبناء يهود من دماء يهودية خالصة وجميعهم ينتمون إلى الطبقة الراقية في المجتمع الإسرائيلي مما يجعل شهاداتهم وثيقة دامغة ودليل إدانة إلى كل من يهتم الأمر في جميع المنظمات والهيئات الدولية في العالم .



---

## تهديد

فى ٢٥ يناير ٢٠٠٢ ظهر خطاب على مساحة ربع صفحة بصحيفة « هآرتس » الإسرائيلية اليومية . فى هذا الخطاب دعا ٥٢ ضابطا وجنديا من ضباط وجنود الاحتياط بجيش الدفاع الإسرائيلى رفاق السلاح بالجيش للانضمام إلى حركتهم ورفض الخدمة فى الأراضى الفلسطينية المحتلة وبالتحديد فى الضفة الغربية وقطاع غزة . كان رفض هؤلاء العسكريين نابعا من إدراكهم بأن إسرائيل انتهكت بشكل صارخ اتفاقات أوسلو الموقعة عام ١٩٩٣ التى كان من المفترض إنها ستضع نهاية للاحتلال . لقد انسحبت إسرائيل جزئيا من بعض المناطق المحتلة .. وبينما كان من المفترض إزالة المستوطنات اليهودية فى الأراضى الفلسطينية إلا أنها تضاعفت واتسعت . كما صدم الجنود والضباط بمدى القوة العسكرية المتاحة لهم ضد سكان مدنيين عزل يفرض عليهم عقاب جماعى لانتفاضتهم فى وجه الاحتلال . ولم يجد هؤلاء الضباط والجنود أمامهم سوى التمرد وعدم إطاعة الأوامر وإعلان موقفهم فى وثيقة بعنوان « إعلان من العسكريين الإسرائيليين المقاتلين بالاحتياط .. برفض الخدمة فى الضفة الغربية وقطاع غزة ».



---

وجاء فى الوثيقة ما نصه:

نحن ضباط وجنود الاحتياط بالوحدات المقاتلة بجيش الدفاع ..  
الذين تربوا على مبادئ الصهيونية والتضحية والعطاء لشعب  
إسرائيل ودولة إسرائيل .. الذين خدموا دوماً على خطوط  
الجبهة .. والذين كانوا دوماً أول مَنْ يلبي النداء وينفذ المهام ..  
سواء كانت بسيطة أو جسيمة .. من أجل حماية دولة إسرائيل  
ودعمها .

نحن .. ضباط وجنود الاحتياط بالوحدات المقاتلة الذين خدموا  
دولة إسرائيل لأسابيع طويلة كل عام على الرغم من التضحية  
الغالية بأرواحنا .. نؤدى خدمة الاحتياط فى أنحاء الأراضى  
المحتلة ونصدر الأوامر والتوجيهات التى لاعلاقة لها بأمن البلاد  
والتي لا هدف لها إلا إطالة أمد سيطرتنا على الشعب الفلسطينى ..  
نحن .. الذين رأينا بأم أعيننا الدماء والأشلاء والضحايا الذين  
يسقطون من الجانبين ..

نحن .. الذين نعتقد أن كل الأوامر الصادرة لنا فى الأراضى  
تدمر جميع القيم التى نشأنا عليها فى هذا البلد ..

نحن .. الذين ندرك الآن أن ثمن الاحتلال هو فقدان الصورة  
الإنسانية لجيش الدفاع وتخريب المجتمع الإسرائيلى بالكامل ..  
نحن .. الذين نعرف جيداً أن الأراضى (الفلسطينية) ليست  
إسرائيل وأن جميع المستوطنات سيتم إخلؤها فى نهاية الأمر ..

نعلم .. بناء على ما تقدم أننا لن نواصل خوض هذه الحرب ..  
حرب المستوطنات . لن نواصل القتال فيما وراء حدود عام ١٩٦٧

---



---

من أجل السيطرة على شعب كامل وطرده وتجويعه وامتهان كرامته .

نعلن بناء على ذلك أننا سنواصل الخدمة فى قوات جيش الدفاع الإسرائيلى فى أى مهمة تخص الدفاع عن إسرائيل . ونعلن أن مهام الاحتلال والقمع لاتخدم هذا الغرض ولن نشارك فيها أبدا .. »

وقد أطلقت هذه الحركة على نفسها بالعبرية اسم « أوميتز ليسارف » أى شجاعة الرفض .

وبالنسبة لهؤلاء الرافضين ، فإن إدانتهم لما يعتبرونه ممارسات بشعة من أعمال القمع ضد الشعب الفلسطينى تمثل احتجاجا على ممارسات الجيش اليومية التى يرتكبها جنوده وضباطه فى الأراضى المحتلة ، كما تمثل أيضا تحديا لشرعية الاحتلال . ويستهدف خطابهم إقناع اليهود الإسرائيليين بأن أعمال العنف غير المشروعة ضد الفلسطينيين تهدد جوهر وجود الدولة اليهودية وتقوض المبادئ اليهودية التى نشأوا وتربوا عليها .

هذه المبادئ الصهيونية التى يشير إليها الرافضون هى (فى رأيهم) الأسس الأخلاقية والثقافية والدينية والتاريخية التى تبرر وجود إسرائيل كدولة يهودية وتعزز المشاعر القومية اليهودية .

وتتضمن هذه الأسس حق العودة إلى ما يعتبرونه أرض الأجداد التوراتية وإقامة ملاذ آمن للشعب اليهودى . مثل هذه الأسس الصهيونية تمثل موضوعا مثيرا للجدل فى إسرائيل حاليا

---



---

حتى وصل الأمر بمجموعة من المفكرين الإسرائيليين إلى الحديث عن النزعة الاستعمارية الكامنة في المشروع الصهيوني .

### جذور الرفض

هناك سوابق عديدة لرفض الخدمة في الجيش الإسرائيلي .. ففي عام ١٩٨٢ عندما قام الجيش الإسرائيلي بغزو لبنان واندفع نحو بيروت احتج مجموعة من الضباط وشكلوا حركة أطلقوا عليها بالعبرية اسم «بيش جفول» أي «هناك حد» .. بمعنى أن هناك حدا لإطاعة الأوامر عندما تكون الحدود المشروعة للبلد غير معرضة للخطر . وبينما كان هؤلاء الضباط مستعدين للحرب من أجل الدفاع عن إسرائيل ، فإنهم لم يكونوا مستعدين للمشاركة في حرب غامضة يحتلون فيها أراضى لبنانية ويهاجمون المدنيين . ونتيجة لرفض الخدمة في لبنان صدر قرار بإيداع ١٦٨ عسكريا إسرائيليا السجن .

لقد أحدثت حركة «بيش جفول» صدى في المجتمع الإسرائيلي الذي كان يشهد احتجاجات متزايدة على حرب بدت غير ضرورية ومكلفة للغاية لإسرائيل . وأنفجر بركان الغضب المكتوم عندما لم يكتف أرييل شارون الذي كان وزيرا للدفاع آنذاك بإعطاء الأوامر باقتحام بيروت بل وساهم بشكل غير مباشر في مذابح مخيمات صبرا وشاتيلا للاجئين الفلسطينيين عام ١٩٨٢ التي راح ضحيتها نحو ٨٠٠ مدني على أيدي ميليشيا مسيحية لبنانية متحالفة مع إسرائيل أثناء احتلال بيروت . ويعتقد



---

غالبية الإسرائيليين إن مغامرة شارون في لبنان كلفت إسرائيل  
أرواح مئات الجنود.

وظلت حركة « ييش جفول » نشطة في إسرائيل وعلا صوتها  
من جديد أثناء الانتفاضة الفلسطينية الأولى من عام ١٩٨٧ إلى  
١٩٩٣ حيث تدهورت الأحوال الاقتصادية والإنسانية في  
الأراضي المحتلة وزادت وتيرة بناء المستوطنات وتوسيع القائم  
منها . وتدخلت قوات جيش الدفاع بإخماد المظاهرات السلمية  
وقمع راشقى الحجارة بشكل وحشى ، وفى ظل المذابح الوحشية  
رفض مجموعة من الضباط والجنود الخدمة فى الأراضي  
الفلسطينية المحتلة وأودع نحو ٢٠٠ ضابط وجندى إسرائيلى  
السجن . كانت رسالة الرافضين واضحة وهى أنهم مستعدون  
للدفاع عن إسرائيل ولكنهم غير مستعدين لإطاعة الأوامر عندما  
يتعلق الأمر بقمع المدنيين واحتلال أرض يعتقدون أنها تقع خارج  
حدود إسرائيل .

وبعد توقيع اتفاقات أوسلو عام ١٩٩٣ تلاشت ظاهرة  
الرافضين تقريبا . وبالنسبة لغالبية الإسرائيليين كان توقيع  
اتفاقات أوسلو يعنى انتهاء احتلال الضفة الغربية وقطاع غزة  
 وإقامة الدولة الفلسطينية على الأراضي التى كانت محتلة . وكان  
جميع الموقعين على وثيقة الرفض يعتقدون أن إسرائيل دخلت  
عملية السلام مع الفلسطينيين بنية خالصة وأن اتفاقا نهائيا مع  
الفلسطينيين يلوح فى الأفق .

ولكن الصورة اتضحت مع مرور الوقت وكانت مختلفة تماما ؛

---



---

فقد ظلت معظم الأراضي الفلسطينية تحت الاحتلال الإسرائيلي ولم تنفذ أى حكومة إسرائيلية الاتفاقات الموقعة مع السلطة الفلسطينية . وبعد اغتيال اسحاق رابين رئيس الوزراء عام ١٩٩٥ انتهجت إسرائيل سياسة ثابتة بتوسيع المستوطنات وإقامة الطرق العرضية والالتفافية التى تقسم الأراضي الفلسطينية إلى كانتونات منعزلة . وفى فترة حكم باراك رئيسا للوزراء (من مايو ١٩٩٩ إلى فبراير) تمت مصادرة كثير من الأراضي الفلسطينية وإقامة عدد من المستوطنات يفوق ما تم بناؤه فى أى حكومة سابقة . وزادت عمليات الحصار وإغلاق الأراضي الفلسطينية ومنع الفلسطينيين من دخول إسرائيل للعمل أو حتى التنقل داخل الأراضي المحتلة .

وفى يوليو ٢٠٠٠ رفض الفلسطينيون ما وصفته الولايات المتحدة وأوروبا بعرض باراك « السخى » فى قمة كامب ديفد ، وفى سبتمبر من نفس العام زار شارون ساحة الحرم القدسى لتنفجر الانتفاضة الثانية فى وجه الاحتلال الإسرائيلى ، وفى أول يوم من الاحتجاجات بعد الزيارة قتلت الشرطة الإسرائيلية تسعة فلسطينيين خارج المسجد الأقصى لتكتسب الانتفاضة اسمها وتعرف بانتفاضة الأقصى . وفى انتفاضة مماثلة لعرب إسرائيل تعاطفا مع أشقائهم الفلسطينيين قتلت الشرطة الإسرائيلية ١٣ مواطنا فلسطينيا من عرب إسرائيل ، وردا على استخدام إسرائيل القوة المسلحة ضد المدنيين بدأ الفلسطينيون إطلاق النار على الجنود الإسرائيليين والمستوطنين اليهود .. ولكن حتى هذه



---

اللحظة لم تظهر العمليات الانتحارية كسلاح فى الصراع الفلسطينى الإسرائيلى ، ومع استمرار الانتفاضة صعدت إسرائيل ممارساتها الوحشية وبدأت فى استعمال سلاح التصفيات الجسدية لقادة الانتفاضة .. ووسط حمام الدم هذا انتخب شارون رئيسا للوزراء عام ٢٠٠١ خلفا لباراك .. وإزاء عمليات القتل المستمرة ضد المدنيين الفلسطينيين وصل الصراع إلى ذروته ببدء موجات المفجرين الانتحاريين التى روعت المجتمع الإسرائيلى وأصبح الخوف يطبق على رقاب المجتمع والموت يخيم على كل شارع ومنزل فى إسرائيل .

وهنا عادت حركة « بيش جفول » للظهور من جديد ولكن هذه المرة فى صورة خطاب لحركة الضباط الرافضين للخدمة فى الأراضى المحتلة على أمل أن يكون خطابهم جرس إنذار أو صيحة لإيقاظ الضمائر من رقادها للإسراع بوقف نزيف الدم .

هؤلاء الرافضون لا ينتمون إلى أى حركة أو منظمة من الحركات والمنظمات الراديكالية فى المجتمع الإسرائيلى .. بل هم مجموعة من العسكريين الذين جمع بينهم قرار الرفض وتحدى اعتقاد راسخ لدى غالبية الإسرائيليين وهو أن على إسرائيل أن تدافع عن نفسها بهذه الطريقة ضد الفلسطينيين والعرب الراغبين فى التخلص من الوجود الصهيونى فى الشرق الأوسط .

وتتلخص رسالتهم فى أن الاحتلال عمل غير مشروع وأن الممارسات التى يقومون بها من إذلال وامتهان لكرامة الناس لا يتسق مع معاييرهم الأخلاقية والإنسانية .. وهى المعايير التى

---



---

يراهم الراقضون تمثل جوهف الءفاءة الاءوءفة . واءصر الراقضون على أنهم آءموا فى الأراضى المءئلة فى السابق على اعءقاء أن إسرائل تعمل جاهءة على إنهاء اءءلالها للصفء الغربفة وقءاع غزة ولكن مع انفجار الاءءفاضة الأاففة شعروا بأنه لاأفار آءر أمامهم سوى الرفض .

### المشروع الصاءفونى

لقد جاء الرفض من جانب أعضاء فءظون باءءرام فى الجفش الذى فمئل النسفج اءى للءولة الاءوءفة .. ولكن رء الفعل من جانب الشارع الإسرائلى كان فنفوى على تناقض ظاهرى .. فقد أءءء وثففة الرفض ضءة هائلة فى إسرائل . وقد فعود ذلك إلى إنها فءرت قضافا بالغة اءساسفة رفما للمرة الأولى منذ إقامة ءولة إسرائل مثل المباءء المءناقضة فى المشروع الصاءفونى .

وهناك أفضا نقة بالغة الأهمفة فءص العلاقة بفن المواءن الإسرائلى والجفش . فالقاعدة التى فءكم هءه العلاقة فقول لكى فكون مواءنا إسرائلفا لا بء أن فكون جنءفا فى الجفش .. وهو ما فعنى أن المواءنة لا فكمئل إلا بالءءمة فى جفش الءفاع وهو بءلك الرابطة التى فربط المواءن بالءولة ، وإنا كان الففوء فى إسرائل هم من المهاجرفن من شفى بقاع الأرض ، فإن الجفش هو الذى فوآءهم فى بوقة واحدة فذوب فىها جمفع الآلاف العرففة والءفنفة ، مهما كانت هءه الآلاف ظاهرة فى المءتمع الإسرائلى بفن الففوء الشرقففن ( السفارءفم ) والغربففن ( الاشكفناز )



---

وبين المتدينين ( الحريديم ) وغير المتدينين .. الأمر الذى يظهر مدى خطورة الخطوة التى أقدم عليها الضباط الرافضون فى هذا المجتمع .. وربما لهذا السبب حرص هؤلاء الرافضون على توضيح أن رفضهم ليس انشقاقا عن الجيش وأنهم مستعدون لأداء أى مهمة يكلفون بها ما عدا الخدمة فى الأراضي المحتلة . إنهم يصرون على التمييز بين الدفاع عن إسرائيل داخل حدود ١٩٤٨ واستمرار احتلالها غير المشروع للأراضي الفلسطينية بعد حرب عام ١٩٦٧ .

ومعظم الرافضين يعيشون فى تل أبيب أو القدس وجميعهم ينتمون إلى أسر من الطبقة المتوسطة والراقية وتتراوح أعمارهم بين ٣٠ و ٤٠ عاما ويتميزون بحسن المظهر ولباقة الحديث والثقة بالنفس . كما أن جميعهم حاصلون على درجات جامعية وبعضهم يشغل وظائف مرموقة فمنهم المحامى ومنهم أستاذ الجامعة والمخرج السينمائى .. أى أنهم يمثلون صفوة المجتمع . ولما كان هؤلاء الرافضون جميعهم من اليهود الغربيين ، فإنهم ينتمون إلى الطبقة الراقية فى المجتمع الإسرائيلى التى تشكل النسيج الحى للحياة السياسية والثقافية فى الدولة اليهودية . ومعنى آخر لم يشعر هؤلاء الرافضون بأى نوع من الغبن الاجتماعى أو التهميش ولذلك كانت صدمتهم كبيرة فى المجتمع الإسرائيلى عندما رفض رسالتهم .

لقد أحدثت رسالتهم فى بادئ الأمر ضجة هائلة غير مسبوقة فى إسرائيل وأصبح الرافضون ضيوفاً دافئين على وسائل

---

---

الإعلام الإسرائيلية ونشرت الصحف ملاحق كاملة عن حركة الرافضين وكانت النتيجة أن أصبحت قضية الاحتلال جزءاً من الجدل الجماهيري بشكل لم يسبق له مثيل . وفى مواجهة هذه الحركة استخدم الجيش الإسرائيلى عدة أساليب لإخمادها فبدأ بوصف هؤلاء الرافضين بأنهم فئة جاحدة وإن ما قاموا به هو فعل شائن غير مقبول ثم أعلن أن حركة الرافضين هذه مجرد ظاهرة طارئة ليس لها أى تداعيات واضطر عدد من قادة الوحدات القتالية بالجيش لإصدار بيانات بأن الجرائم التى تحدث عنها الرافضون فى وحداتهم لم تحدث ، إلى أن انتهى الأمر بوصفهم خونة أو ضحايا الدعاية السامة فى أحسن الأحوال .

وتوالى السهام على صدر الرافضين حتى وصل الأمر إلى إصدار أحد الحاخامات فتوى بإهدار دمهم وقتلهم .. ولم يقتصر الأمر على الجماعات اليمينية والدينية المتطرفة بل شارك اليسار فى الحملة وأصدرت حركة ميريتس اليسارية بياناً نددت فيه بحركة الرافضين ، وقال المنتقدون إن شهادات هؤلاء الضباط تمثل سابقة خطيرة لا يمكن التهاون بشأنها .

وتجدر الإشارة إلى أن وثيقة الرفض وقعت بعد ١٥ شهراً من اندلاع الانتفاضة الثانية وقبل أشهر قليلة من إقدام الجيش الإسرائيلى على إعادة احتلال المدن الفلسطينية التى تسلمتها السلطة الفلسطينية فى إطار اتفاقات أوسلو . ومن ثم، فإن الوثيقة جاءت قبل أن تشن إسرائيل حملة شاملة من التخريب والتدمير المتعمد للبنية الأساسية للمجتمع الفلسطينى بهدف تعزيز قبضة



---

الاحتلال .. الأمر الذى يؤكد صحة ما وصل إليه الرافضون من قرار بالتمرد على الأوامر العسكرية والتوجه إلى الشعب الإسرائيلى مباشرة . لقد وصل الرافضون إلى قناعة تامة بأن إسرائيل لا يمكنها ببساطة شطب القضية الفلسطينية ودفنها فى غياهب النسيان . وإن عمليات القصف المستمر والإغلاق والتجويع والإذلال واسع النطاق لشعب أعزل لا يستقيم أبداً مع القيم اليهودية . وإن التسوية السلمية التى تقوم على مجتمع جديد لشعبين يعيشان فى سلام جنباً إلى جنب ، ممكنة وليست مجرد حلم .





## الفصل الأول



### الضابط احتياط شاماي ليبوفيتز

- إسرائيل تنهار.. والديمقراطية أكذوبة كبرى..
- أطالب بمحاكمة القضاة أمام المحكمة الجنائية الدولية..
- الحاخامات يشوهون الكتاب المقدس ويدنسونه اليهودية..
- أي تسوية دون إنهاء الاحتلال هو اتفاق بين المقتصب والضحية..
- إنهم يعذبون ثلاثة ملايين فلسطيني يوميا ثم يذهبون للصلاة!..
- النظام التعليمي فاسد والقضاة يخدمون في مملكة الشر..
- نظامنا الدكتاتوري ألقى بالدولة في حمام دم لا ينتهي..





---

شاماي لييوفيتز (٣٢ عاما) .. ضابط احتياط يعيش ببلدة  
جيفات شمويل قرب تل أبيب .. يعمل محاميا وخدم في وحدات  
المدرعات .. يدعو شاماي إلى الكفاح من أجل المساواة التي تقوم  
حسب رأيه على اليهودية الحقيقية . شارك شاماي في دعوى  
قضائية ضد جيش الدفاع أمام المحكمة العليا الإسرائيلية تطالب  
بوقف سياسة الاغتيالات أو التصفية الجسدية التي يعتمدها  
الجيش ضد رموز المقاومة الفلسطينية . وقد تأجلت الدعوى عدة  
مرات لأن المحكمة ، كما يقول شاماي ، أرادت أن تشتري الوقت  
وتتجنب إصدار قرار يفضي الجميع .. فهي لاتستطيع تأييد  
عمليات التصفية ولا تستطيع تقويض أنشطة الحكومة وجنرالات  
الجيش . ويبدو أن فكر شاماي لم يأت من فراغ فهو حفيد  
البروفيسور الراحل ييشع ياهو لييوفيتز المفكر اليهودي الذي دعا  
إسرائيل للتخلي عن سيطرتها على الأراضي الفلسطينية وإنهاء  
احتلال أراضي شعب آخر فور انتهاء حرب ١٩٦٧ كما دعا ييشع  
جنود الجيش الإسرائيلي إلى عصيان الأوامر ورفض الخدمة في  
الأراضي المحتلة . وكان والد شاماي أستاذا للرياضيات بجامعة  
بن جوريون في بير سبع بينما عملت والدته أستاذة للغة  
الإنجليزية ومترجمة وكاتبة . فماذا يقول شاماي ..

---

---

### ● القتل بدون أوامر:

فى يوم الالتحاق بالجيش عندما تدخل القاعدة لانتلقى الأوامر بقتل الأطفال الصغار . ولكن أثناء الخدمة تجد نفسك تقوم بمثل هذه الأعمال عادة ودون أوامر . فعلى سبيل المثال عندما تكلف بمهمة تفتيش منزل أو ملاحقة مطلوبين .. يجرى أمامك شخص فتطلق عليه النار وتقتله .. وقد تتوقف لحظات وتساءل نفسك: هل كنت أريد قتل هذا الشخص .. لم أكن أريد ذلك .. لقد حدث دون إرادتى " !!

غالبية الجنود لا يفهمون إنك لا تستطيع الالتزام بالأخلاق وأنت تخدم فى الأراضى المحتلة . ليس هناك شيء اسمه "احتلال تنويرى" .. إنه قمة التناقض اللفظى .. لا يمكنك السيطرة على شعب وتنكر عليهم حقوقهم بشكل تنويرى . هل يمكنك ان تقصف قراهم ومدنهم بالطائرات والصواريخ ثم توزع عليهم الحلوى ؟! . هل يمكن أن تقول لهم "نحن آسفون لقد قصفنا قريبتكم وقتلنا خمسة أشخاص .. كنا نحاول قتل محمود عباس ولكننا قتلنا أم مع أطفالها الأربعة وهم نيام بدلا منه .. ونأسف على هذا الخطأ غير المقصود.. ثم ينتهى كل شيء ؟!! إن مثل هذه الأمور تجرى يوميا.

### ● اليهودية والأخلاق:

وقد يسألنى البعض عن مدى تأثير جدى الفكر الدينى الراحل على تفكيرى وقرارى بالرفض .. وأقول .. ليس صحيحا القول إن مجرد نشأتى فى كنف جدى كان السبب فى تبني أفكاره وقناعاته . فأنا اختلف معه فى أشياء كثيرة . فهو يقول إنه لا علاقة بين اليهودية والأخلاق .. بمعنى أن الشخص قد يكون

---



---

متدينا ويمارس الطقوس الدينية من صلاة وطعام حلال ويظل يؤيد الاحتلال . ولكنى أرى خلافا لذلك أن هناك علاقة بين الاثنين؛ بمعنى أن اليهودى المتدين حقا لا يقمع غير اليهود ولا يمتهن كرامتهم ولا يحتجز أناسا بغير محاكمة . ومن ثم، فإن المعادلة الصحيحة هي " إذا كنت متدينا حقا يجب أن تعارض الاحتلال " . وهكذا، فإن مقاومة الاحتلال تبدأ من الإيمان باليهودية الحقيقية وليست اليهودية المزيفة التى يروج لها مستوطنو جوش ايمونيم . فهؤلاء اليهود الذين يعتبرون أنفسهم فى قمة التقدين (حريديم ) يسفكون الدماء ويقتلون بدم بارد ويمتهنون كرامة البشر ويعاملونهم بأبشع صور الإذلال ويمنعونهم من استخدام الطرق ويجبرونهم على السير عدة كيلومترات سيرا على الأقدام ثم يذهبون للصلاة !!

فبعد كل ما يفعلون .. ماذا تساوى صلاتهم ؟ الشخص الذى يصوم ويكفر عن سيئاته فى يوم كيبور (أقدس الأعياد اليهودية) ثم يتسبب فى أبشع صور المعاناة للملايين البشر يرتكب خطأ قاتلا. الأنبياء يقولون إن هؤلاء الذين يتسببون فى معاناة الضعفاء يهزأون باسم الرب وليس هناك خطيئة أشد من إهانة اسم الرب .

هناك نص فى التلمود يقول "فى حالة حدوث تجديف واجتراء على المقدسات يجوز مخالفة مواعظ الحاخامات " .. بمعنى آخر .. إن الإنسان بوسعه أن ينتقدهم . ومع كل الاحترام الواجب للحاخامات إلا أنهم يشجعون على تدنيس المقدسات وانتهاك الحرمات . إننى أقول ذلك على المعتدلين منهم أيضا لأنهم ببساطة

---

---

لا يدينون الاحتلال . إن غاية ما يقولونه إنهم راغبون فى التوصل إلى حل وسط بشأن الأراضى عندما يأتى العرب " طائعون صاغرون " .

### ● سلام المقتصب والضحية ؛

إن الوصايا التى وضعها أنبياء بنى إسرائيل تقول " يجب ألا تنتظر حتى تحارب عدوك لتهزمه إلى درجة الإذعان .. فقبل كل شىء يجب أن تمنع عنه الظلم .. يجب أن تخلق السلام من خلال معاملة كل إنسان وكل أمة بأعلى قدر من المساواة والاحترام . إنه التزام أساسى .. بالطبع أنا أريد تسوية سلمية .. ولكن لا يمكن أبدا أن يكون هناك سلام بين المحتل والخاضع للاحتلال .. فهذا الأمر يشبه من يطلب اتفاق سلام بين المقتصب والضحية أثناء عملية الاغتصاب !! لا بد أن ينتهى الاحتلال أولا لأنه جريمة أخلاقية ثم يكون بإمكاننا بعد ذلك الحديث عن ترتيبات على المدى البعيد .

ولكن متى قررت رفض الخدمة ؟

أقول .. قبل عدة أيام عثرت على خطاب كتبته لقائد كتيبتى عام ١٩٩٢ .. أبلغته فيه أننى لا أستطيع تنفيذ المهمة التى كلفت بها فى غزة . وقلت إننى أرفض الاحتلال وما يستتبعه من قمع . كان رفضى الخدمة فى غزة لا يعنى رفضى الخدمة فى الجيش نهائيا . لقد طلبت منه نقلى من الكتيبة كى أخدم فى أى مكان آخر بعيدا عن الأراضى . وافق قائد الكتيبة ونقلت إلى الحدود المصرية . ومنذ ذلك الحين لم يطلب منى الخدمة فى الأراضى المحتلة . وما كتبته عام ١٩٩٢ يمكن كتابته اليوم .. عندما تقمع ثلاثة



---

ملايين إنسان وتنكر عليهم حقوقهم الأساسية لا بد أن ينفجر العنف . ولا شك أن العنف يولد مزيدا من الإرهاب والإرهاب يقود إلى مزيد من العنف .. وهكذا .

### • عنصرية فاضحة :

لقد أدركت منذ سنوات عمرى الأولى إلى أى مدى يجرى التمييز ضد غير اليهود فى إسرائيل . فعندما كنت أدرس فى مدرسة ييشيفا فى جوش اترزيون كان لدينا حمامات سباحة فى الوقت الذى كان فيه جيراننا الفلسطينيون محرومين ليس فقط من حمامات السباحة بل من مياه الشرب النقية والطرق .. بل ومحرومون من كل شئ . لا يبدو أن المستوطنين فى فيلاتهم الأنيقة يهتمون بهذا الأمر أبدا . عندما تعيش هكذا وتتجاهل تماما أحوال كل من حولك فلا يمكن أن تكون يهوديا حقا .

على مدى خمس سنوات كنت أسبح فى حمامات سباحة وأقود سيارتى على الطرق السريعة التى حرم الفلسطينيون من السير عليها حتى بالأقدام . كنت أمارس حقى فى الانتخاب والإدلاء بصوتى فى حين يعيش كل من حولى محرومين من سيادتهم وحقوقهم .

وقد يقول أحد كيف لنا أن نكسر نسق التفكير والأنماط السلوكية الراسخة فى المجتمع اليهودى .. وأقول إن التعليم هو الأساس .. لا بد أن يكون هناك تعليم حقيقى يعلى من قيم الحرية والاحترام والمساواة وحقوق الإنسان ومساعدة الفقراء والأيتام والأرامل سواء كانوا يهودا أو غير يهود .. نعم حتى غير اليهود .. وكما ورد فى التلمود « عندما يكون غريب معك فى أرضك يجب

---

ألا تخطيء في حقه .. يجب أن يكون هذا الغريب بالنسبة لك  
وكأنه صاحب الأرض معك .. عليك أن تحبه كنفسك.. لأنكم كنت  
غرباء في أرض مصر .

### • تعليم متطرف :

ربما يقول البعض إنني استخدم تعبير « غرباء » للإشارة إلى  
الفلسطينيين رغم أنهم أصحاب هذه الأرض .. وأقول إن هذا يعود  
إلى نمط التعليم الذي تربينا عليه .. لو كان الكتاب المدرسي عندنا  
علمنا أن الفلسطينيين ليسوا غرباء ولكنهم مواطنون ، فإن واقعنا  
كله كان قد تغير إلى حد كبير . لقد أصبح تعليمنا ذي نزعة قومية  
متطرفة خلال العشرين أو الثلاثين عاما الماضية .. إنه يعزز  
مشاعر الخوف من الإبادة ويركز على ضرورة إن تدافع عن  
أنفسنا بدولة قوية وجيش قوى .. النظام التعليمي في إسرائيل  
يغذي مشاعر الخوف المرضى من الجميع ويردد دائما أن العالم  
كله يقف ضدنا . هذا النوع من التعليم يؤكد نمط العيش بالسيف  
على حساب قيمنا . عندما كنا في الشتات كان اليهود يشغلون  
أنفسهم بقضايا اجتماعية وأخلاقية وروحية مثل الأعمال الخيرية  
والاهتمام بالمرضى والمحتاجين والمسنين ودراسة التوراة. وما أن  
حصلنا على استقلالنا وأصبحت لنا دولة تجاهل تعليمنا هذه  
القضايا لصالح مشاعر القومية المتطرفة وربما أقول لصالح  
"تقديس" السلاح .

### • تشويه الكتاب المقدس :

وهناك عدة أمثلة على استغلال التوراة في تعزيز المشاعر

---



---

القومية .. من ذلك مثلا أن المستوطنين باسم الحق الإلهي في الأرض يمارسون أبشع أنواع العنصرية والتطرف الفكري من خلال تشويه النصوص الدينية . كما أن أحد قصص التوراة تقول إن أول مدينة عبرية في العالم أقيمت كعهد سلام بين ابراهيم وأبيمالك بعد أن فضل ابراهيم التوصل لاتفاق بدلا من أن ينكر على أبيمالك حقوقه .. ولكن على مدى سنوات قام النظام التعليمي بمحو هذه الفكرة تماما وبشكل متعمد من الكتب المدرسية.. كما أن الحاخامات يبذلون كل ما بوسعهم حتى لا يطلع الدارسون على هذا النص . إن مدرسينا يمجّدون الشاعر القومية فيما يعمل حاخاماتنا على تشويه الكتاب المقدس ويعزلون بعض العبارات عن الشجاعة والحرب والاحتلال عن سياقها لتكرارها في نسق مختلف .

لقد سمعت كثيرين يقولون لى لماذا تريد أن تقيم سلاما مع هؤلاء العرب ؟ إنهم قوم لا يمكن الوثوق بهم .. إنهم لا يريدون سوى قتلنا .. لا يمكننا أن نتخلى لهم عن سيناء .. أو لا يمكننا أن نترك لهم جنوب لبنان .. واليوم يقولون لا يمكننا الانسحاب من مخيم بلاطة ورفح .. إنه نفس الدافع في جميع الأحوال .. "لأنهم يريدون قتلنا" .. وهكذا ترى أن رجال الدين عندنا ليسوا فقط دعاة حرب بل ومجذّفين لا يترددون عن تشويه الكتاب المقدس لتبرير تعاليمهم القومية المتطرفة .

### ● قضاة أسوأ من الحاخامات :

إن الأمر لا يقتصر على نظامنا التعليمي فقط ، فهناك أيضا النظام القضائي .. فقضاةنا مذنبون لأنهم يؤيدون الاحتلال .

---

قضاة المحكمة العليا أسوأ من الحاخامات . على مدى ٢٥ عاما .. أضفت المحكمة الشرعية على عمليات الاغتيال والاعتقال الإدارى والطرد وهدم المنازل .. وغير ذلك من السياسات التى لايمكن أن تسمع بها فى دولة ديمقراطية . وكل ذلك باسم الأمن .. أى أمن هذا ؟!

لقد قال بنيامين فرانكلين " إن مَنْ يتخلون عن الحرية من أجل أن ينعموا بقليل من الأمن لا يستحقون الحرية ولا الأمن . " لقد جرد القضاة دولتنا من الحرية ووضعوا مكانها ورقة التوت التى تمثل أمن الدولة . وكما قال بنيامين فرانكلين فإنهم ساهموا فى إحساس الشعب اليهودى بالخوف وانعدام الأمن . ومن أجل رغبتهم فى تبرير ما تقوم به الدولة من فظائع فإن أمتنا وصل إلى أدنى مستوى له منذ إعلان قيام الدولة .

والسؤال : كيف يساهم هؤلاء القضاة فى تعميق الايديولوجيات القومية المتطرفة ؟ والجواب لأنهم لم يتلقوا أبدا تعليما قانونيا سليما . إذا كانوا قد تعلموا فإنهم سيصلون الى نتيجة مؤداها " عندما تأمر السلطات بهدم منازل واعتقال أناس دون محاكمة ، فإنها ليست وظيفة القضاة التصديق على ذلك " . فى النظم الديمقراطية القضاة لا يمثلون السلطات .. كل شخص له كامل الحقوق القانونية حتى لو كان من أعتى المجرمين والقتلة أو المتآمرين . وإذا لم يكن قضائنا يفهمون ذلك فإنهم لا يستحقون أن يجلسوا على مقاعد القضاة .

### ● مملكة الشر :

إننى أقارن بين قضائنا وبين قضاة مملكة آخاب ملك الشر

---



---

والذين كان حكمهم دائما .. إنه عندما يتعلق الأمر بأمن الدولة فلا يكون هناك خيار آخر سوى انتهاك الحقوق . ويحضرني هنا قصة المواطن نابوث الذي رفض إطاعة أوامر الملك آخاب فرأى القضاة ضرورة انتهاك حقوقه واتهامه بتكدير الأمن العام .. وقد كان وأعدم نابوث رجما بالحجارة . وبعد كل شيء فقد كان هناك شهود وممثل ادعاء ودفاع ولكن الحكم معروف " إنه خطر على الأمن " .. ولذلك كان من السهل إقناع الرأي العام بشرعية قتل نابوث . إن قصة نابوث تمثل صورة طبق الأصل لفساد نظامنا القضائي .. فنحن لدينا أيضا شهود وممثل ادعاء ومؤسسة لحقوق الإنسان تسمى " بيت سليم " وممثلو دفاع يمثلون الفلسطينيين .. ولكن كل هذا خداع لأن القضاة جزء من النظام يتعاونون مع المدعين لممارسة أبشع أنواع الظلم.

هذا التأييد الأعمى للنظام خطأ وخطر أيضا . لم تجد قاضيا واحدا وقف وقال " لن أفعل هذا " . إنهم مثل ماكينات المياه الغازية الميكانيكية .. تضع فيها العملة وتخرج لك ماتريد . إننى أريد من النائب العام وكل عناصر الجهاز القضائي عندنا أن يقرأوا جيدا حكاية محاكمة نابوث .. عليهم أن يخجلوا من أنفسهم أشد الخجل . إننى أتوقع منهم كيهود الكثير .. وبدلا من الدفاع عن نظام احتلال فاسد يتعين عليهم أن يصرخوا قائلين " لنتوقف عن أفعال الشر " . ولكن دعنى أقول إن هناك عددا قليلا جدا من القضاة كان لديهم الشجاعة لاتخاذ هذا الموقف وأذكر منهم على سبيل المثال شايبم كوهين .

---

## ● اغتصاب النظام:

ومع ذلك، فإن النظام له مصلحة في الاحتلال وقضائنا يرغبون في إفساد النظام القضائي لحساب النظام الحاكم . غدا سيكون للنظام مصلحة في التخلص من جميع اليساريين وسيجد القضاة السبل الكفيلة بإفساد العملية القضائية من أجل أن يفعل ذلك . اليوم النظام يغتال الفلسطينيين بدم بارد .. وبعد كل عملية "تصفية" يصدرّون بيانا صحفيا يقول إن الرجل المستهدف كان "خطرا على الأمن" .. لا يسأل أحد أى سؤال عما يحدث .. والقضاة صامتون .. غدا سيبدأون في القيام بنفس الشيء ضد اليهود وسيقولون ساعتها إن يورى افنيرى تعاون مع عرفات .. ولذلك قمنا بتصفيته" . وفى نهاية المطاف سيصلون إلى أنا .. قد يبدو ذلك محض خيال ولكن الحقيقة أقرب مما يعتقد الكثيرون . إن القضاة يغتصبون النظام القضائي لإسعاد النظام الحاكم في إسرائيل .. والمبررات دائما جاهزة "لقد فعلنا ذلك حفاظا على الأمن العام .. والمصلحة العامة وأمن الدولة .. إلخ ."

## ● جرائم حرب:

كانت هناك شهادات ذات مصداقية عن جرائم حرب ارتكبت ولكن لم يستمع إليها أحد من قضائنا. كيف تفسر رفض كافة الدعاوى التى رفعت أمام المحكمة العليا من مدعين يعارضون الاحتلال؟.

على جميع الضباط أن يدركوا أن عمليات التصفية هي قتل خارج نطاق القضاء . وكل جندي يخدم في الأراضي المحتلة مشارك في هذه الجرائم . وكل جندي يساعد الجيش هو شريك



---

أيضا لأنه يعرف أن الجيش يتفد هذه الاغتيالات خارج نطاق القضاء وهي جرائم حرب بكل المقاييس . ومن ثم، فإن كل جندي يخدم في الأراضي المحتلة مشارك في جرائم حرب وله الحق على الدولة في أن يرفض التورط فيها .

وهناك قضية أخرى خطيرة .. جيش الدفاع يستخدم الفلسطينيين دروعا بشرية . وهؤلاء الذين يرفضون يقتلون في الحال وبدم بارد . والأمر الأسوأ من ذلك أن المحكمة العليا تتساهل مع كل هذه الجرائم . وهذا يفسر لماذا أدعو إلى تقديم القضية الإسرائيليين للمحاكمة أمام المحكمة الجنائية الدولية . لقد منع جيش الدفاع سيارات الإسعاف من إخلاء الجرحى وترك مئات الفلسطينيين ينزفون حتى الموت وتحتل جثثهم في المخيمات والمدن .. لقد أطلق جيش الدفاع النار على شخص انتهك حظر التجول وخرج لشراء رغيف خبز بعد أن ظل محبوسا لأربعة أيام مع ٥٠ شخصا آخرين في غرفة واحدة .. هذه الجرائم موثقة وعليها شهود وهذا يفسر لماذا يمنع الجيش الصحفيين من الدخول لرؤية ما يحدث في المخيمات والقرى والمدن الفلسطينية . لقد دفنوا المئات في مقابر جماعية بهذه المدن والمخيمات .. إنه أمر مروع !

### ● دعوة للعصيان :

إننى أدعو طيارى الأباتشى والإف١٦ / أن يرفضوا تنفيذ الأوامر بقصف المدنيين في الأراضي الفلسطينية وأن يطلبوا المثول

---

---

أمام محكمة عسكرية .. عندئذ سنطالب بتطبيق اتفاق جنيف الرابع الخاص بحماية المدنيين أثناء الحرب . إننى أدعو جميع الجنود إلى التوقف عن ارتكاب جرائم حرب والمطالبة بمحاكمة عسكرية عادلة. ادعواهم إلى ترك قواعدهم العسكرية والامتناع عن صيانة دباباتهم وطائراتهم ومدفيعيتهم وكل أنواع الآلة الحربية التى تستخدم ضد المدنيين . أدعو جميع الجنود لفتح أبواب معسكرات الاعتقال التى يحتجز فيها آلاف الفلسطينيين عدة أشهر دون محاكمة . وفى الوقت نفسه ادعواهم إلى الدفاع عن دولة إسرائيل داخل حدودها التى حددها المجتمع الدولى بقرار التقسيم بعد حرب عام ١٩٤٨ . ولا شك أن القول إن مثل هذه الأعمال تعنى القضاء على الجيش والدولة اليهودية قول سخيف تماما .. إذ لم يذكر التاريخ حالة واحدة أنهار فيها مجتمع بسبب خروج فئة منه عن النص وإعلان رفضهم ارتكاب أفعال الشر . إذا أنهار مجتمع فإن ذلك يعود فى الأساس إلى أن هناك مَنْ يتستر على ما يجرى من شرور فيما يواصل آخرون ارتكاب أفعال مدمرة.

### ● إسرائيل تنهار :

إننى أدرك خطورة ما أقول فقد استيقظ غدا فأجد أمرا باعتقال كل زبائنى كمحام لأنى أدعو للمقاومة والرفض .. ولكن أحد الوصايا الرئيسية فى الكتاب المقدس تقول " يتعين عليك ألا تخشى وجه إنسان إذا كان ذلك الأمر يتعلق بأمر الرب " . إن إسرائيل ، كمجتمع ديمقراطى، تنهار أمام أعيننا فى وضوح النهار .

---

---

نظامنا الدكتاتوري الحاكم ألقى بإسرائيل فى خضم حمام دم لا بد أن يتوقف . إنتى أخشى كثيرا على مصير إسرائيل . وهذا يفسر لماذا أضع هذا الأمر فوق أهدافى الخاصة . ذات مرة ذهبت إلى المعبد وبعد الصلاة تحدثت مع أحد الحاجات عما يجرى من مطاردات للأطفال الفلسطينيين على مدى ٢٥ عاما واقتحام المنازل فجرا وترويع النائمين من المدنيين فى الأراضى، فوقف أحدهم وقال لى "أغرب عنا ولا نريد أن نرى وجهك هنا مرة أخرى !" مثل هؤلاء اليهود لا يكرهون فقط الفلسطينيين لأنهم يريدون دولتهم بل ويكرهون اليهود اليساريين أيضا لأنهم لا يشاطرونهم معتقداتهم فى " إسرائيل الكبرى " . هؤلاء المتدينون هم السبب فى حمام الدم الذى تعيشه إسرائيل .

لا بد من ترسيم حدود إسرائيل على حدود ٦٧ وإخلاء المستوطنات وتعويض المستوطنين .. وفور ترسيم حدود الدولة إذا أراد مستوطن الهجرة من إسرائيل كى يعيش فى الدولة الفلسطينية يجب أن نسمح له بذلك . إنه حقه مثلما هو حقه الهجرة إلى الولايات المتحدة أو أى مكان آخر فى العالم . ولا بد من الاعتراف بحق العودة للفلسطينيين بل لا بد أن نطلب منهم الصفح عما أوقعناه ضدهم من ظلم فى عام ١٩٤٨ ( النكبة ) .. لقد تعودنا على الاضطهاد لدرجة أنستنا قوة الصفح .. الاعتذار مبدأ أساسى فى اليهودية . ومن يصلى ليل نهار ولا يفهم ما فعلناه ضد مئات الآلاف من اللاجئين إنما يصلى مثل الروبوت وصلاته لا معنى لها .. وعليه أن يمارس اليوجا أفضل . المشكلة



---

الأساسية هو أن كثيرا جدا من اليهود فقدوا روح اليهودية ولا يستطيعون أن يقولون "آسف". علينا أن ندرك أن الاعتذار هو الخطوة الأولى نحو المصالحة . وقبل أن نتحدث عن النهوض بأي شيء في بلادنا علينا أن نقاوم الاحتلال .. الاحتلال هو الذي دمر نظامنا القضائي ونظامنا التعليمي والأسوأ من هذا كله .. دمر عقيدتنا اليهودية . ولكن متى ينهار نظام الاحتلال .. لن يحدث هذا إلا عندما تقف الأغلبية الصامتة لتطالب الجيش برفض الخدمة في الأراضي والتوقف عن قمع وإذلال الشعب الفلسطيني.. ساعتها يمكن إقامة مجتمع يهودي حقيقي قائم على العدل والحرية والتعاطف .

## الفصل الثاني



### الضابط عساف أوران

- مهمتنا إرهاب الفلسطينيين وتحويل حياتهم إلى جحيم !
- جرائم كتائب الإعدام لا يمكن أن يتحدث عنها أحد
- قواتنا تقتل الأطفال وتطبق العقاب الجماعي .. إنها جريمة حرب
- الجيش تعلم من النازي كيف يعمل في المناطق المزدحمة
- ثم نصحهم السفر .. العمالة للجيش أو الخروج بلا عودة
- كيف نجح "جيش الدفاع" في تخريب اتفاقات أوسلو ؟
- إلقاء اليهود في البحر .. وهم سخيض صنع في إسرائيل
- الاحتلال رأس الإرهاب .. والطرده حل على الطريقة النازية





---

عساف اورون .. رجل نحيل يبلغ من العمر ٣٦ عاما وهو أب لطفلين يعيش فى ضاحية موشاف نيهورا بجنوب إسرائيل . نشأ عساف فى ضاحية بيت هاكيريم بالقدس ويعمل حاليا فى حملات المساعدات الإنسانية للفلسطينيين التى تعنى بأحوال المشردين والجوعى ومن هم فى حاجة ماسة للرعاية الطبية بعد العمليات العسكرية التى ينفذها الجيش الإسرائيلى . وكعضو نشط فى حركة الراقضين أعلن عساف رفضه للاحتلال وتضامنه مع ضحايا عمليات البطش التى يرتكبها الجيش الإسرائيلى رغم أنه أحد رجاله . هذا التناقض الظاهرى تعود جذوره إلى نشأة عساف الذى نشأ لأبوين مختلفين ايدىولوجيا فى نظرتهم لإسرائيل ؛ فالأم ترفض السياسة الإسرائيلية بل إنها شاركت فى المظاهرات المناهضة لغزو لبنان وما أعقبه من مذابح مخيمى صبرا وشاتيلا عام ١٩٨٢ بينما يعتبر الأب أن العالم كله ضد إسرائيل وأن القوة المسلحة هى السبيل الوحيد لمواجهة ذلك . ويعكس سلوك عساف اورون هذا التناقض داخل الشخصية الإسرائيلية فهو ضابط بجيش الدفاع يخدم فى وحدة يشعر بأنها تفتك كل وأبسط حقوق الإنسان التى يؤمن بها .

---

## ● عقلية الجيتو :

ويقول عساف : نشأت على درب والدى معارضا لليसार .  
وعندما كان عقيدا فى جيش الدفاع كان يعتقد أن قوة إسرائيل  
تكمن فقط فى قوتها المسلحة . لقد عاش والدى وهو طفل حياة  
اللاجئين فى معزل لليهود فى شتيتل فى بولندا وهناك أخبرهم  
الروس بضرورة الرحيل وإلا فإن الألمان سيقتلونهم وبالفعل  
هاجروا شرقا وبعد انتهاء الحرب هاجر مع والديه إلى إسرائيل .  
ورغم انتماء والدى للمجتمع الإسرائيلى إلا أن هوية اللاجئ هى  
التي ظلت غالبة عليه لتشكل نظرتة للعالم كله . أما والدتى فقد  
كانت ظروفها مختلفة فقد نشأت فى منطقة ما بوسط أوروبا  
لأسرة ليبرالية . وقبل الحرب انتقلت مع والدتها من المنطقة التي  
صارت تعرف بعد ذلك باسم اوشفيتز وهاجرت إلى فلسطين من  
بين المهاجرين اليهود الأوائل . لقد كانت من أسرة ذات نفوذ تملك  
سبل الحصول على التصاريح اللازمة للهجرة إلى فلسطين .  
وهكذا نشأت بين أفكار والدى المتشددة من ناحية والتي ترى أن  
إسرائيل هى الرد الطبيعى على ما لاقاه اليهود فى معازلهم فى  
وارسو واوشفيتز وغيرهما ، وعلى دعاوى السلام والعدل  
والحرية والمساواة للجميع التي كنا نسمعها فى أغاني جون لينون  
وديلون وبوب مارلى وغيرهم .

وفى سن الثامنة عشرة التحقت بالجيش . لم التحق به من  
دافع الحماس أو الوطنية بل فعلت ما يفعله كل إسرائيلى .  
وحاولت إلا أكون وحيدا مقابل آخرين يستعرضون عليك  
بطولاتهم فى الدفاع عن أرض الوطن . لم يطلبوا منا تعذيب الناس  
ولكن طلبوا منا أن نكون صارمين فى التعامل معهم . كانت

---

وظيفتنا أن نجعل الفلسطينيين يعيشون وقتا عصيبا وخاصة الشباب منهم ، فهم دائما فى دائرة الاشتباه . وبدون تفكير أو شعور أصبحت مولعا بالقتال وفور أن نعتقل شابا ويحاول الهرب نطارده ثم نمسك به ونوسعه ضربا . نعم لقد شاركت فى الكثير من هذه الأفعال التى لا يمكن أن تمحى من ذاكرتى أبدا من ضرب وإهانة أشخاص بعضهم فى سن والدى .

وفى عام ١٩٩٠ أخذنى صديق للتطوع معه فى منظمة تعنى بمراقبة انتهاكات حقوق الإنسان فى الأراضي المحتلة . كنت شغوفا لأرى ماذا يجرى على الجانب الفلسطينى . ومع رؤيتى لانتهاكات حقوق الإنسان فى القدس الشرقية والأراضي بدأت أرى الجيش من زاوية أخرى . بدأت أدرك إلى أى مدى ينتهج جيشنا سلوكا عسكريا غير مقبول . وفى غرفة ضيقة بالقدس الشرقية بدأت انقب بين كم هائل من الملفات عن أعمال القتل والتعذيب وحتى الإهانات العادية فى الحياة اليومية التى يواجهها الفلسطينيون . ولكنى شعرت بأنى كمن يحاول إفراغ البحر بملعقة شاي !

عرفت إلى أى مدى كانت انتهاكات حقوق الإنسان ترتكب بشكل منهجى منظم فى الأراضي الفلسطينية . وإلى أى مدى يساهم نظامنا القضائى فى السماح بهذه الانتهاكات دون عقاب واضح . لقد أصبحت رؤيتنا للفلسطينيين تقوم على اعتبار أننا وهم فى مباراة من شوط واحد وأن فوزهم يعنى خسارتنا نحن .. والعكس صحيح .



---

## ● سياسة صنع العملاء :

باختصار هدفنا هو تنغيص حياة الفلسطينيين لحرمانهم من أن يحيا حياة طبيعية وتذكيرهم دائما بمنْ يمسك في يديه كل شيء . وعلى سبيل المثال الناس الذين يريدون تصريحا للسفر للخارج يطلب منهم إما التعاون مع الجيش أو توقيع إقرار بأنهم لن يعودوا قبل عدة سنوات !

لقد أعدنا تقريرا على افتراض أن الناس سيطلعون عليه ويدركون الهدف من تلك السياسة وهو تقليص عدد الشباب في الأراضي الفلسطينية إلى أقل حد ممكن . ومع ذلك لم يهتم بهذا التقرير أحد ، بل إن الناس كانوا يسألوننى سؤالا سخيفا : لماذا تساعد العرب ؟ أليس لدينا ما يكفينا من المشكلات ؟!

لقد تحولت الفترات الثلاث التى قضيتها كضابط احتياط إلى مزيج من الخزي والشعور بالغثيان . ورأيت كيف سعى الجيش إلى تخريب اتفاقات أوسلو عمدا . وسأضرب لكم مثلا .. قبل أيام من الانسحاب من بيت لحم كنت فى فترة الاحتياط بهذه المنطقة وكان الجميع فى حالة من الفرح والابتهاج فى أعقاب الأجواء الاحتفالية التى سادت بعد اتفاقات أوسلو . ولكن كانت الأوامر الصادرة إلينا من قادتنا تقول " فتشوا المساجد حيث يوجد المتشددون وسجلوا أسماءهم " .. وهو ما يعنى ضمنا السعى لافتنال أى اشتباك لإيجاد ذريعة لتأخير الانسحاب .

## ● كتاب الإعدام :

وفى ١٩٩٧ كنت فى فترة الاحتياط فى غزة لم أكن أتصور ما يحدث ؛ فقد سلمت غزة نظريا للفلسطينيين ولكن الاحتلال ظل

---

كما هو بكامل صورته . فقد ظل الناس أسرى داخل القطاع لايسمح لهم بالدخول أو الخروج . أدركت أن هؤلاء المحاصرين سيكونون قنابل موقوتة ضدنا ولم يخيب ايهود باراك ومن بعده اريل شارون ظني بعد أن وفروا لهذه القنابل الموقوتة المفجرات اللازمة . صحيح أن زيارة شارون لساحة المسجد الأقصى المشؤومة تسببت في اندلاع احتجاجات فلسطينية قام خلالها المتظاهرون بإلقاء الحجارة وإحراق الإطارات ولكن الجيش رد بالذخيرة الحية ونشر القناصة على أسطح المباني لقتل المحتجين . فضلا عن ذلك، فإن كتائب الإعدام المعروفة باسم «دوفديقان» كانت تجوب شوارع المدن الفلسطينية بالملابس المدنية وترتكب ما لا يمكن لأحد الحديث عنه . وعند هذه النقطة قررت ألا استمر في خوض تلك الحرب .

وفي يناير ٢٠٠٢ عندما حضرت أول اجتماع لحركة الرافضين بدا الأمر وكأنني انظر في مرآة أرى فيها ٢٠ صورة لى . وللحق أقول إننا كنا جميعا من نفس الطبقة الاجتماعية فقد كنا من الطبقة الوسطى . ودعنا نقول إن الناس الذين يستطيعون اتخاذ خطوة شجاعة في اللحظة المناسبة هم أولئك الذين لا يعانون أى مشكلات اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية . هذا يفسر لماذا تقع على أولئك الذين ينشأون في مجتمعات النخبة مسؤولية المبادرة لتغيير وجه المجتمع . علينا التزام بأن نفعل شيئا تجاه ذلك . علينا مسؤولية أن نكون العصا التي تكسر ظهر الاحتلال . وبهذه الطريقة فقط يمكننا إنقاذ سكان هذه الأرض .

## • الخروج عن الصف :

نعم .. أدرك أن أصعب عمل يمكن أن يقدم عليه إنسان هو التمرد والخروج عن الصف ، ولكن عندما تصل إلى قناعة تامة بأن ما تقوم به هو جريمة بكل المقاييس فإن هذا الحاجز النفسى يزول . ولسوء الحظ ، فإن الفكر الذى يحكم جيش الدفاع يقوم على قاعدة تقول " لا تكن منزعجا تجاه ضميرك .. اهتم فقط بمستقبلك. " !! وكذلك فإن اختيار الأمور المريحة حل سهل فمثلا يمكنك التظاهر فى ميدان عام ولكن أن تنقل الطعام إلى الجوعى الفلسطينىين أو تعلن التضامن مع العرب وتنشق عن الصف، فإن هذا أمر لا يحتمل .

والغريب أن البعض يرى أن جنود جيش الدفاع يتصرفون فى أغلب الأحيان بإنسانية وللدرد على ذلك دعونى اسألكم كيف يمكن أن تفرض حظر التجول على مدينة بشكل إنسانى ؟! ولأضرب لكم مثلا .. فى قرية قرب نابلس كانت هناك طفلة تسمى تبارك عودة عمرها عامان. كانت تبارك مريضة تتعاطى دواء ولكن مع فرض حظر التجول نفذ الدواء من منزل الأسرة ومنع جيش الدفاع أى أحد من تقديم الدواء لهذه الأسرة . كنت شاهدا على هذا الأمر ولكن عندما حاولت منظمتنا التحرك لإنقاذ الطفلة كان كل شىء قد انتهى .. ماتت تبارك . لم تكن تبارك سوى طفلة من بين عشرات وربما مئات آخرين يعيشون ظروفها ولا يستطيع أحد الوصول إليهم . ولا شك أن الجنود الذين يقفون عند حواجز التفتيش ويمنعون عربات الإسعاف من المرور هم ينفذون الأوامر



---

ويؤدون عملهم لا أكثر . ربما لا يفكر أى من هؤلاء الجنود أن له  
بدأ فى موت تبارك ولكن ألم يسأل أحدهم نفسه عمن يمنع سيارة  
الإسعاف من المرور .. إلا يعتبر هذا قاتلا للأطفال .

### ● عقاب جماعى :

ورغم كل ما يقال عن العقاب الجماعى للفلسطينيين فإن أحدا  
لا يهتم بذلك . لقد نسينا أن مثل هذه الممارسات لا تقوم بها إلا  
النظم القمعية . فالنظم الديمقراطية لا تطبق أساليب العقاب  
الجماعى للناس .. إنها جريمة .

وقد يسأل البعض : لماذا يقتنع غالبية الإسرائيليين بأنه ليس  
لدينا خيار آخر . بمعنى آخر إنه لا بد من وقف التفجيرات  
الانتحارية بأى ثمن حتى أن بدت الممارسات غير أخلاقية ؟

ولكن دعنى أقول إن هذا الاعتقاد ينم عن فكر أعمى بالغ  
التشوش .. فالتفجيرات الانتحارية ليست سوى نتيجة لما يفعله  
شارون الذى لا يعدم حيلة لإذكاء هذا الحريق .. ففى كل مرة  
نعيش فيها فترة من الهدوء النسبى يقوم باغتيال شخص ما  
فتعود التفجيرات من جديد. التفجيرات الانتحارية تخدم أغراضه  
فى تجنب إمكانية التوصل لاتفاق مع الفلسطينيين . ومع كل  
تفجير هم يجنون المكاسب . وحتى المستوطنون على استعداد  
للتضحية بكل إسرائيل من أجل مصالحهم الخاصة . إننا نريد  
حماية دولية لأن حكومتنا لاتفعل ما يجب للدفاع عنا ضد هؤلاء  
المفجرين . ولا أدرى كيف يقبل الإسرائيليون فكرة أن السلطة  
الفلسطينية مسؤولة عن الأمن فى الأراضى فى الوقت الذى تفعل  
فيه الحكومة الإسرائيلية كل ما بوسعها لتحطيم قدرتها على  
الحكم .

## • أكاذيب يهودية :

هناك كثير من الأكاذيب التي تروج لها إسرائيل .. ومن ذلك مثلا إنهم يتحدثون على مدى سنوات عن مخيمات اللاجئين الفلسطينيين ويقولون "لماذا لا يحل العرب مشكلة اللاجئين ويقدمون العون لظروفهم البائسة ؟" واستكمالا للأكذوبة يأتي الجواب "إنهم يريدون أن يستخدموا هؤلاء اللاجئين في دعاياتهم بشأن معاناة الشعب الفلسطيني"!! إن إسرائيل تردد دائما هذا الزعم ضد الدول العربية وتحاول أن تنسى أن جهة الاحتلال طبقا لاتفاقيات جنيف هي المسئولة عن توفير كل ظروف الحياة الإنسانية للمواطنين تحت الاحتلال . إن إسرائيل لم تبادر يوما لتحسين ظروف هؤلاء اللاجئين ولم تقدم لهم أى مساعدة ، إذ يحصل اللاجئون على المساعدة من المنظمات الدولية . والأمر ليس قاصرا على مخيمات اللاجئين بل إن القرى العربية داخل الخط الأخضر لا تتلقى شيئا من إسرائيل فضلا عن ممارسة كل أشكال التمييز ضد من يسمون عرب إسرائيل .

إنها مسألة حياة أو موت ضد الفساد لا بد أن نعرى كل أشكال الوحشية التي تكمن وراء كل ذلك . ومن أجل تحقيق ذلك يتعين علينا أن نخترق كافة الحواجز الذهنية والعاطفية .

## • رسالة مفتوحة إلى يهود العالم :

بعد موجة من الاحتجاجات العارمة من الجماعات اليهودية في الولايات المتحدة في أعقاب نشر منظمة تيخون الإسرائيلية إعلانا على صفحة كاملة بصحيفة «نيويورك تايمز» يؤيد حركة الزافضين للخدمة من جيش الاحتلال الإسرائيلي في الأراضي

---

المحتلة .. كتب الضابط عساف اورون هذا الخطاب :

أعزائي يهود أمريكا ويهود العالم :

« عرفت بالأمس بأن منظمة يهودية داعمة للسلام تسمى تيخون نشرت إعلانا يؤيدنا تعبر من خلاله عن دعمها لضباط الاحتياط الإسرائيليين الرافضين للخدمة في الأراضي المحتلة. وفور النشر أمطرها يهود العالم وخاصة يهود أمريكا بوابل من رسائل الاحتجاج التي تنضح بالكراهية سواء عبر البريد الإلكتروني أو الاتصالات الهاتفية . وما يثير الاهتمام أكثر أنه حتى اليهود الذين يعتبرون أنفسهم مؤيدين للسلام أدانوا إعلان تيخون . لقد استقال بعض أعضاء مجلس إدارة تيخون لتقليص أى أضرار شخصية قد تلحق بهم بسبب هذه الخطوة . هذا الأمر أثار لدى الأسى والحزن والغضب إلى حد أنتى وجدت نفسى أجلس وحيدا نصف يوم عشية عيد الفصح كي أكتب هذا الخطاب المفتوح.

معظم هذه الهجمات "المتحضرة" كما فهمت كانت موجهة إلى تفاصيل الإعلان الذى نشرته منظمة تيخون . هنا فى إسرائيل وخلال الشهرين الماضيين ومنذ أن نشرنا خطابنا المفتوح للشعب الإسرائيلى نعلن فيه رفضنا الخدمة سمعت أيضا كثيرا من الجدل حول أهداف وجوانب حركتنا. إن المشكلة الرئيسية تكمن فى عقلية القبيلة كما أن المشكلة الأكبر فى إسرائيل أن الصوت العالى فقط هو الصوت الذى يسمح له أن يكون مسموعا دون الآخرين .. هذا الصوت العالى كان يقول إننا نعيش وسط قبيلتين ؛ الأولى هى قبيلة من البشر الأخيار والأطهار الخالصين وهم بالطبع



---

الإسرائيليون والأخرى هي قبيلة ما دون البشر وهم من الأشرار  
الملاعين الخالصين والمقصود بهم الفلسطينيون . ولا بد لقبيلة  
واحدة فقط أن تبقى على قيد الحياة .. وحتى لو لم تكن أختيارا  
خالصين لا بد أن ندع أخلاقنا وضميرنا يغط في نوم عميق .  
لا بد أن نصمت ونحارب كي نقتل وإلا ، فإن الفلسطينيين  
سيلقون بنا في البحر .

هل هذا يعنى أى صيحة تحذير بالنسبة لكم ؟ لقد كان كذلك  
بالنسبة لى .

### ● العرب .. وحوش آدمية :

دعونى أقول لكم شيئا .. عندما نشأت فى إسرائيل فإن كل  
ما سمعته هو أن العرب وحوش غير آدمية لا يفهمون سوى لغة  
القوة .. ومنذ أن كسب جيش الدفاع حرب الأيام الستة تعلموا ألا  
يرفعوا رؤوسهم أمامنا مرة أخرى . وبالطبع كان علينا أن نحافظ  
على الأراضى "الحررة" بين أيدينا . ثم جاءت حرب يوم كيبور  
(عيد الغفران) . وبالنسبة لطفل فى سننى يبلغ السابعة من العمر  
كان ذلك دليلا كافيا على أن العرب يريدون أن يلقوا بنا فى البحر.  
ولم أكن يافعا بما يكفى كى أعرف ما انتهت إليه الحرب .

ومرت سنوات قليلة حدثت فيها أشياء جميلة حيث جاء هؤلاء  
الذين يريدون أن يلقوا بنا فى البحر لمفاوضات سلام . وفى مقابل  
تسليم سيناء بالكامل (للمصريين) كانوا راغبين فى توقيع اتفاق  
سلام كامل . كنت آنئذ فى سنوات المراهقة وبالطبع شاركت فى  
مظاهرات مناهضة للانسحاب من سيناء . لأننى كنت مقتنعا تماما  
بفكرة أن هؤلاء العرب لا يمكن الوثوق بهم بالمرّة وهذا هو  
ما تعلمناه وتربينا عليه منذ أول يوم فى حياتنا .

---

ولكن مصطلح "القاؤنا فى البحر" بدأ يأخذ معنى آخر مع الغزو الإسرائيلى للبنان بعد مناوشات على الحدود الشمالية .. لقد كان الهدف إقامة نظام صديق لنا فى بيروت . كان مهندس الغزو هو اريل شارون الذى كان آنذاك وزيرا للدفاع .. لقد صوت شمعون بيريس الذى كان زعيما للمعارضة فى ذلك الوقت مع جميع أعضاء حزبه لصالح غزو لبنان . كان هذا بالنسبة لى وأنا فى سن السادسة عشرة نقطة تحول أخرى فى حياتى . وعندما أدركت أن الحكومة كذبت على كى تبيع لى هذه الحرب انتقلت من يمين الوسط إلى اليسار . ويا للأسف لقد استغرق منى الأمر ٢٠ عاما أخرى فى عملية تحول بطيئة ومؤلمة كى أدرك إلى أى مدى تترسخ هذه الأكاذيب فى أعماق واقعنا . وعندما سحب بيريس معظم قواتنا من لبنان كنا ما زلنا لا نتق فى العرب، فأقمنا جدارا عازلا تحول إلى مستنقع دام على مدى سنوات حتى تكونت جماعة الأمهات الأربع لتناضل ضد الجنرالات والسياسيين والمتطرفين إلى أن تم الانسحاب نهائيا من لبنان .

### ● الخزى والعار :

وبالنسبة للفلسطينيين فإنهم أقرب إلينا بشكل مؤلم .. ومثل أخوين متصارعين دفعناهم إلى العداء . لقد أبعدناهم إلى هذه المنطقة التى استولينا عليها عام ١٩٦٧ وأطلقنا عليها بعد ذلك وصف "الأراضى" . لقد خلقنا واقعا مجنونا يستطيع فيه البشر الحقيقيون وأبناء أمة الأسياد التنقل والاستيطان بكل حرية وأمان فيما يزاح أشباه البشر وأبناء أمة العبيد إلى الجحور ليعيشوا على هامش الحياة غير مرئيين وتحت سيطرة جيش الدفاع . أعرف أننى كنت هناك . تعلمت أن أفعل هذا وأكثر .. ففى منتصف

الثمانينات كنت شاهدا على أعمال قتل أشعر بالخزي والعار وأنا أتذكرها اليوم . ومع استمرار هذا النهج كان لا بد للعنف أن يندلع ومرة أخرى استيقظت لدينا غرائزنا القديمة وظهر من جديد شعار "إنهم يريدون أن يلقونا فى البحر" . لقد ظللنا سنوات نرفض وجود "الأخر" ولا نعترف بأن هناك شعباً آخر اسمه الفلسطينيون ونقول دائما لا يوجد "شريك" يمكن أن نجلس معه وأن هؤلاء لا يفهمون سوى لغة القوة وهكذا كان الرد مزيدا من القوة وكأنك تضع النار بجوار برميل بترول .. وعند هذه اللحظة قلت لنفسى لن استمر فى هذا الطريق إلى ما لا نهاية .

ولكن .. تراك تسأل : ماذا عن الخطر الذى يهدد وجودنا ؟ وأنا أسألك أيضا : أليس لك عينان؟ ألم تر دباباتنا تعيث فسادا فى شوارع المدن الفلسطينية كل يوم ؟ ألا ترى طائراتنا تحلق فوق رؤوسهم كى تختار أى نافذة توجه إليها صواريخها ؟ أى نوع من الأمن هذا الذى نسعى إليه بترويع الفلسطينيين ؟

### • نكتة سخيفة :

اسمعك تقول إن الهدف هو منع الإرهاب ! أى نكتة سخيفة تلك؟! نحن الذى ننثر البذور ونتعهدا بالرعاية ثم نحصد ما نزرع . وبعد ذلك تسيل دماؤنا ويجنى السياسيون من جماعات اليمين الثمار . فى الحقيقة الإرهاب هو أفضل صديق للسياسيين من أنصار اليمين .. ألا تعلم ذلك؟ عندما تعامل ملايين الفلسطينيين كأنهم غير آدميين ولفترة طويلة فإن بعضهم سيلجأ حتما إلى استراتيجيات غير إنسانية للرد . أليس هذا هو ما تبناه الصهيونيون والثوريون اليهود قبل مائة عام من أجل تبرير



---

الأساليب التي لجأ إليها اليهود في أوروبا للبقاء أحياء في وجه حملات الإبادة . ألم يقل لنا أجدادنا " لنعيش مثل الآدميين ونتصرف مثل باقي بني الإنسان " .

يحدوني أمل أن أكون قد نجحت في هذا الجزء من الخطاب في توضيح مدى سخف شعار "إنهم يحاولون إلقاءنا في البحر" . إنه وهم صنعناه بأيدينا . والأهم من ذلك ، فأنا لا أرى العالم من منظور قبلي . إنى أرى أناسا . أعتقد أن الفلسطينيين بشر مثلنا لابد أن نعاملهم كآدميين دون أن نطلب أى شىء منهم في المقابل . وأقول لأنصار باراك الأوفياء أن إلقاء بعض الفتات للفلسطينيين كي يقيموا عليها وطننا تخنقه مستوطناتنا وتخرقه طرقتنا ثم نقول إن ذلك منتهى الكرم ليس سوى قول خادع وأمر يفتقد العدالة التاريخية التي تعد أساسا ضروريا لبقاء دولتنا.

### ● حرب إرهاب :

في نفس الوقت .. لا أريد أن أكون إرهابيا باسم قبيلتي وهو ما تحاول أن تروجه ألتنا الدعائية باسم "الحرب على الإرهاب" . إنها حرب إرهاب وليست حربا على الإرهاب . ومن أجل الانتقام من أعمال المسلحين الفلسطينيين وظفنا جيش الدفاع للقيام بنوعين من الإرهاب .. النوع الأول وهو الإرهاب الظاهر ويتمثل في أعمال القتل والتدمير التي يحلو للبعض أن يسميها عمليات جراحية للدفاع عن النفس رغم أنها لا تؤدي إلا إلى مزيد من العنف وإراقة الدماء . أما الإرهاب الأسوأ وهو غير المرئى فهو المستمر منذ عام ١٩٦٧ وطوال سنوات عملية أوسلو وحتى اليوم . إنه إرهاب الاحتلال والإهانة اليومية لشعب محتل وممارسة كل

---

أشكال الحرمان والتجويع والتهميش والاستغلال بل وتشريع أعمال النهب ضده . هذه هي قاعدة جبل الجليل .

### • أفكار نازية :

وأود أن أشير إلى نقطة بالغة الحساسية في هذه القضية .. وهي مسألة النازية . هناك قدر كبير جدا من النفاق لدى أولئك الإسرائيليين الذين يغضبون من المقارنة بين سلوك الإسرائيليين وممارسات النازي . ولا عجب في ذلك فالأحزاب اليمينية التي تؤيد طرد كل الفلسطينيين من البلاد وهي فكرة نازية في جوهرها تمثلنا في الكنيست وتعد جزءاً من الخريطة السياسية "الشرعية" منذ عام ١٩٤٨ . وتظهر أحدث استطلاعات الرأي أن ما بين ٣٥ و ٤٥ في المئة من اليهود يؤيدون هذا "الحل" كما يطلق عليه أحيانا . وعندما خرج جنرال الاحتياط ايفي أيتام من الجيش وشرع في تكوين حركة دينية قومية جديدة نشر ملحقاً في صحيفة «هاآرتس» كشف فيه عن فكره الذي يتلخص في طرد فلسطيني الضفة إلى الأردن وطرد أولئك الموجودين في غزة إلى سيناء وقال لماذا يتعين علينا ونحن دولة فقيرة في الموارد حل مشكلة الفلسطينيين . مثل هذا الفكر يسعيد للأذهان ما فعله النازي في الفترة المظلمة من عام ١٩٣٨ وحتى قيام الحرب العالمية الثانية عندما طرد اليهود من ألمانيا ولكنهم لم يجدوا ملاذاً آخر يؤويهم . وعندما أرى جنرال احتياط ونجم سياسي صاعد يردد أفكار النازي وينشرها في صحيفة تعتبر من أكثر الصحف الإسرائيلية ليبرالية ولا يجد أي تحفظ أو نقد ممن قابلوه أو من مسؤولي الصحيفة يقشع بدن رعباً .

## ● جريمة حرب :

وبعد ذلك بشهرين نقلت صحيفة «هاآرتس» عن أحد قادة جيش الدفاع الذى يعمل فى الأراضى الفلسطينية قوله : من أجل الاستعداد لمعارك محتملة فى المناطق المزدحمة بالسكان يتعين على جيش الدفاع أن يتعلم كيف عمل الجيش الألمانى فى معزل "جيتو" وارسو . وبعد أسبوع أعاد الصحفى نشر هذا الكلام معقبا بأنه يمثل فكرا واسع الانتشار فى جيش الدفاع ثم راح يدافع عنه على أسس أخلاقية . وبعد أيام شهدنا كيف أن هذه الأفكار لاتأتى من فراغ فقد اجتاحت جيش الدفاع مخيما للاجئين .. وهى جريمة حرب لا تقبل النقاش ولا يبررها أى عذر . وفى المقابل توالى التفجيرات الانتحارية فى مدنتنا .

يحدونى أمل ضئيل فى أن يستيقظ الشعب الإسرائيلى ويوقف هذا التصعيد المجنون فى العنف . ولكن فى الحقيقة قرر الإسرائيليون فى غمرة خوفهم وارتباكهم الذى يغذيه السياسيون ووسائل الإعلام أن يعودوا للنوم كى يستيقظوا بعد أن ينتهى الأمر . ولكن فى الحقيقة الأمر لم ولن ينتهى على هذا النحو . وبينما تنام عقولنا نشد بقبضتنا المميتة على كابوس مزعج . الأمر الوحيد العقلانى هو أن نبدأ فى المسير وهذا يتطلب عقولا منفتحة .. فهل تنضمون إلى حشود الغوغاء المزيفة التى تغنى لإسرائيل وتهدهدها كى تنام وتقمعون كل من يتجرأ على إيقاظها . أم ستحملون المسئولية وتكونون الأصدقاء الحقيقيين الذين تحتاجهم إسرائيل الآن حتى لو كان ذلك غير مرغوب من جانب بعض الإسرائيليين فى الوقت الحالى ؟

الليلة .. تذكروا أن أكثر من ألف شخص ثلاثة أرباعهم من



---

الفلسطينيين وربعمهم من الإسرائيليين الذين كانوا هنا قبل عام وقتلوا . (الخطاب كتب قبل أكثر من عامين) . كان من الممكن أن يكون غالبيتهم معنا اليوم إذا تحركنا بشكل أسرع . إننا نفعل الآن القليل مما نستطيع القيام به . أرجوكم أن تفكروا في عدة آلاف قد يقتلون إذا واصلتم الوقوف مكانكم موقف المتفرج . أرجوكم ساعدونا في النضال من أجل أن نتحرر من الخوف والعنصرية والكراهية وما ينجم عنها من موت وخراب .

## الفصل الثالث



### الليفتنانت احتياط جاي جروسهمان

- نمارس أبشع أنواع العنصرية في الخليل بسبب مستوطنة واحدة
- هدمنا ٦٠ منزلاً في رفح وشردنا ١١٢ أسرة ثم كذبنا على الشعب
- جيش الدفاع يطارد الأطفال بالدبابات في الشوارع.. إنه عار!
- نحتاج إلى حركة عصيان ملني على طريقة غاندي ومارتن لوثر





---

نشأ جروسمان (٢٩ عاما) ببلدة رعنانا وهي مدينة راقية بقلب إسرائيل تميزها الفيلات الصغيرة المحاطة بالأشجار وتخرج في جامعة تل أبيب بعد أن حصل على درجة جامعية في الفلسفة .. ثم خدم كضابط احتياط في سلاح المدفعية . جاءت أمه من استراليا بينما جاء والده من بريطانيا . لم تكن والدته جروسمان راضية عن قرار ابنها بعصيان الأوامر وتوقيع وثيقة الضباط الرافضين ومع ذلك كانت فخورة بمدى استماتة جروسمان في الدفاع عن موقفه وخاصة إذا كان ذلك يؤدي إلى ضمان حياة أفضل لإسرائيل . وكان شقيقه الأصغر يخدم في سلاح المظلات ويدرك أن الاحتلال شيء كرهه ولكنه لا يقبل توقيع وثيقة الرافضين للخدمة في الأراضي الفلسطينية . كان باقي أصدقاء جروسمان ينتمون إلى معسكر اليسار وأن كانوا لا يشاطرونه موقفه . كان جروسمان يشارك في مظاهرات حركة "السلام الآن" منذ الخامسة عشرة من عمره وعندما بلغ السادسة عشرة أمسك بعلمة طلاء وراح يكتب على جدران مساكن بلده "الاحتلال يعنى الفساد" . وفي الثامنة عشرة من عمره انضم إلى وحدة قتالية ولم ير أى تناقض بين الموقفين . وحتى وهو ضابط كان يعطى صوته لحركة ميريتس الداعية للانسحاب من الأراضي المحتلة .. وهو ما يعنى أنه كان يصوت للانسحاب من الأراضي . ولكن في التسعينات

---

---

انضمت حركة ميريتس إلى حزب العمل وقبلت بتوسيع المستوطنات بعد توقيع اتفاقيات أوسلو . وكانت مبررات قادة الحركة أن العمل على انتهاء الاحتلال يبرر القيام بمثل هذه الممارسات على المدى القصير .. وهنا أدرك جروسمان أنه كان يعطى صوته لاستمرار الاحتلال وليس العكس .

### ● أكاذيب يومية :

أما النقطة الفاصلة في حياة جروسمان فقد كانت اكتشافه تكرار الكذب من جانب المتحدث باسم الجيش في البيانات الرسمية كي يبدو الجيش في صورة إنسانية أكثر . وفي هذه المساحة يكشف جروسمان ممارسات الاحتلال وكيف كانت ممارسته اليومية الروتينية تعذيب السكان المدنيين في الأراضي المحتلة .. يقول جروسمان : خدمت في وحدة أساسية لمدة أربع سنوات.. وعندما يناديني أحد بلقب ليفتنانت جروسمان أشعر بذاتي وكنت لا أشعر بفرق بين كوني جنديا يخدم في وحدة من وحدات النخبة تحمي الوطن وبين بناء هويتي الشخصية . ورغم أنني انتقد اليوم وجودنا في الأراضي إلا أنني لم يخالجنى شعور بالذنب لكوني جنديا آنذاك. أعطيت الدولة ثقة كبيرة .. ولكن عندما خرجت من الجيش وأصبحت مدنيا من جديد بدأت أنظر من زوايا مختلفة وبدأ التحول بداخلي عندما ذهبت للخارج .. لقد خرجت من الخدمة عام ١٩٩٤ وذهبت فورا في جولة تشمل دول أمريكا الوسطى والجنوبية وهنا بدأت أرى الأمور من الخارج .

### ● وخز الضمير :

عندما كنت في الجيش كنت أشعر بشيء من وخز الضمير ولكني كنت أواصل الخدمة في الجيش .. أرى أن الضمير مسألة

---

نسبية وحالة مرنة أى أن رد الفعل يكون مؤقتا ووفقا على الظروف المحيطة . وعندما بدأت عملية السلام قررت أنه من الضروري أن أكون هناك كى أدفع هذه العملية قدما .. فى عام ١٩٩٥ لم أكن أعرف أشياء عرفتھا اليوم .. أعتقد بسذاجة أن اسحق رابين وياسر عرفات درسا الموقف بكامله وقررا اتخاذ قرارات صعبة ولكنهما غير قادرين على إبلاغنا بكل التفاصيل بعد، وأنهما يعملان على تهيئة العقول والمشاعر لدى الشعبين أولا. وعندما قالوا " غزة — اريحا أولا " قلت إنها بداية ستليها خطوات .. فالجميع كانوا مقتنعين أو سلق .. أليس كذلك ؟!

### ● ممارسات عنصرية :

وطوال خدمتى العسكرية لم يكن الرفض وعصيان الأوامر خيارا مطروحا أمامى .. ولم يكن جزءا من المناقشات الحامية التى أجريها مع أصدقائى .. كنت مسئولا عن قطاع فى مدينة الخليل بعد مذبحة باروخ جولدشتاين ضد المصلين المسلمين بقليل .. كان الأمر هناك مثل سادوم وعامورا ولكنى لم أفكر فى أن أقول " يكفى هذا .. وأنا وجنودى نرفض أن نذهب إلى هناك " . لابد أن تدرك أن العنصرية فى الخليل أسوأ من أى مكان آخر فى المدن الفلسطينية لوجود مستوطنة يهودية فى قلبها .. هل تصدق أن العرب محظور عليهم السير فى شوارع معينة بالمدينة ؟! وأن هناك ساعات معينة ترفع فيها القيود كى يسمح للعرب بالمرور فى شوارع أخرى ؟! أن التفرقة العنصرية فى هذه المدينة ظاهرة بشكل فاضح .

وبعد المذبحة كانت المدينة تلحق جراحها وكان العرب يتحينون الفرصة للانتقام لقتلهم .. كان هذا قبل إقامة السلطة الفلسطينية



---

وقبل أن يكون هناك سلاح فى الأراضى . لقد جاؤوا إلينا بكل ما وصلت إليه أيديهم من سكاكين ومناجل وغيرها .. وذات مرة كنت أقف مع جندى وجرى نحونا رجل وألقى على الجندى زجاجة بها مادة حارقة وبدأ فى طعنه .. لذا أطلقنا عليه النار وقتلناه . مثل هذه الحالات تحدث طوال الوقت ..

كان الغضب عارما وكانت المظاهرات عنيفة . كان لا بد أن نطلق عليهم النار وقد أصبنا منهم الكثير .. وقد تسألنى كيف لهؤلاء الفلسطينيين أن يعيشوا وسط كل هذه الأهوال .. وأنا حقيقة لا أعرف .. أنت تقف هناك فى الشارع ولا تعرف ماذا يحدث فى الجانب الآخر منه أو كيف يعيش الفلسطينيون حياتهم اليومية . الناس لا يعرفون حقيقة ما يحدث هناك . كان إطلاق النار روتيننا يوميا حتى أننا كنا نطلق النار على منشآت الفلسطينيين ولا نفكر مرتين فى الأموال التى اقتطعها هذا الفلسطينى من راتبه كى يقيم هذه المنشأة أو تلك . كان الجنود لا يعرفون أن ما يحدث فى هذه المدينة (الخليل) هو أسوأ أنواع العنصرية . فالمستوطنون تخصص لهم طرقا واسعة للمرور فى حين يتم حشر الفلسطينيين فى حارات ضيقة للمرور خمس ساعات فقط يوميا . وهناك سبب آخر يجعل الناس لا يفكرون فيما يحدث وهو تلك الآلة الدعائية الإسرائيلية التى تعمل على مدار الساعة .

### ● زوار الضجر :

وعندما تسمع بعض الأخبار عن عملية تفتيش لمنازل الفلسطينيين فأنت لا تعرف ماذا يحدث فى هذه العمليات . إن تفتيش منزل يعنى اقتحامه فجرا وسحب الأطفال نائمين من على أسرته وحشر أفراد الأسرة فى ركن ضيق من المنزل ووضع

فوهة البندقية على رأس رب الأسرة . ذات مرة كنت أشارك فى عملية تفتيش وطبقنا نفس الطريقة التقليدية وعندما صرخت طفلة وتبولت على نفسها بكت الأم أيضا ولكن أحد الجنود هدها ببندقيته طالبا منها إسكات ابنتها حتى لا توقظ الجيران قبل أن يأتى دورهم فى حملة التفتيش . خدمت ست سنوات فى الاحتياط وكنت أبرر استمرارى بأننى إذا لم أقم أنا بذلك ، فإن جنديا آخر أقل حساسية ورأفة بالأطفال سيقوم بها .. بمعنى إذا كنت خارجا مع الجنود لهدم منزل فإننى سأنتظر حتى تأخذ الطفلة دميته قبل أن نهدمه وهو ما قد لا يفعله جندي آخر .. كنت أبالغ فى مدى قدرتى على التأثير فى ممارسات جيش الاحتلال وبعدها أدركت أن ما أفعله ليس له أى معنى .. إنه يشبه مبدأ " إذا لم أسرق أنا فسيأتى صديقى ويسرق هذا الشيء لى " إنه تشويه للواقع .. إننا لا نعمل فى مصنع .. إننا نتحدث عن جرائم ترتكب . قبل عامين ونصف العام دار نقاش مع قائد الكتيبة التى أخدم بها أبلغته بأنى أريد أن أظل أخدم فى الكتيبة ولكن ليس فى الأراضى الفلسطينية . وبعد شهر استدعانى القائد وأبلغنى بنقلى من الكتيبة نهائيا. أدركت أن الأمور ليست بالبساطة التى كنت أظنها .. لقد فضل القائد أبعادى عن أن أرفض أمرا أمام جنودى . وبعد شهر التحقت للعمل بالجبهة الداخلية وشعرت آنذاك بالأسى إذ انتقلت من وحدات النخبة إلى الصفوف الخلفية. وفى عملى الجديد كانت فرص إعلانى الرفض التام للخدمة معدومة .

### ● نقطة التحول :

وقد تسألنى عند أى نقطة أصبح قرارى برفض الخدمة واضحا أمامى . وأقول : دعنا نفرق بين الرفض بناء على تجربة

---

شخصية لعدة سنوات وتوقيع خطاب حركة الرافضين فى الجيش وتحويل الرفض إلى موقف سياسى .. ولكن كان اليوم الفارق فى حياتى هو يوم العاشر من يناير ٢٠٠٢ .. فى هذا اليوم هدم جيش الاحتلال ٦٠ منزلا فى رفح بجنوب قطاع غزة .. ثم خرج المتحدث باسم جيش الدفاع ليعلن بكل براءة أن هذه المنازل كانت خالية أصلا من السكان .. وهذا كذب خالص .. فقد أعلنت منظمات إسرائيلية وفلسطينية معنية بحقوق الإنسان أن عملية الهدم شردت ١١٢ أسيرة فى لحظات وألقت بهم فى جو جليدى وشتاء قارس البرودة . فى هذا اليوم اتصلت بصديقى الضابط يانيف ايزكوفيتز كى أسأله عما يجب علينا أن نفعل .. فى هذه المرحلة لم أكن أفكر فى أن يكون خطاب الرفض دعوة مفتوحة للانسحاب من الأرضى.. كان خطابا يوضح أسباب رفضنا العمل فى الأرضى.

إن الدولة ليست كيانا نخدمه بكل السبل سواء كانت مشروعة أو غير مشروعة .. الدولة آلية يفترض أنها هى التى تخدمنا . لا يمكن لأحد أن ينكر على الفلسطينيين آمالهم المشروعة . أنا شخصيا أفضل إقامة دولة تضم كل المواطنين المقيمين على ترابها فى المستقبل . ومادام الاحتلال باقيا فلا يمكننا الحديث كلمة واحدة عن المساواة . هل تحدث أحد من حكومتنا عن المساواة أو عن انهيار النظام التعليمى ؟ إن الجزء الأساسى والأكبر من ميزانية الدولة يذهب للأمن والمستوطنات . عندما سمعت وزير المالية يتحدث عن تخصيص مزيد من الأموال للأراضى قلت " ليساعدنا الرب " . فالأقتصاد فى أزمة ونسبة البطالة ١١ فى المائة فى الوقت الذى يتحدث فيه السيد الوزير عن تخصيص أموال جديدة للطرق الالتفافية والمجتمعات التى تحرسها المدرعات. إن دعوتنا للتوقف عن قمع شعب آخر هى معركة من أجل هوية

---



---

الدولة . إن دولة تهتم بالأسس الأخلاقية فى تعاملاتها هى أقوى بكثير من دولة تنشر دباباتها لمطاردة أطفال الحجارة .

### ● تشريع القتل :

وقد يقول أحد إننى اخترت طريقا يراه البعض مخزيا وهو رفض الخدمة فى جيش الدفاع ولكنى أقول إن ما كنت أقوم به فى المخيمات الفلسطينية فى السابق هو الذى يثير الإحساس بالخجل . ذات مرة كنا نقوم بحملة فى مخيم واندفع تجاهنا رجل ممسكا بحجر فقتلناه . نعم .. كان أمر دخول المخيم مشروعا وكان إطلاق النار عليه حسب قوانين الجيش أيضا مشروعا .. فقد كان يقف على بعد عشرة أمتار عن أقرب جندى من قوتنا ويمسك حجرا فى يده . عندما يقتل شخص فى الأراضى الفلسطينية يجرى تحقيق قد يستمر عشر دقائق من الاستجواب ثم ينتهى بالتأكيد على أن الجندى كان فى حالة دفاع عن النفس . وهكذا فإن كل شىء كان مشروعا ولكن فى النهاية قتل شخص .. وكنت اسأل نفسى كيف حدث ذلك ولماذا قتلته ؟ بل لماذا أنا أخدم هناك أصلا ؟ إننى هناك حسب قوانين الجيش بشكل مشروع وهكذا فإن قتلى لهذا الرجل أيضا تم بشكل مشروع !! ولكن حقيقة أن الرجل مات تضغط على ضميرى .. اليوم أدرك أننى ما كان يجب أن أكون هناك من البداية . أى شخص يرى أحدا يتقدم لهدم بيته سيمسك بحجر ليدافع به عن نفسه وعن بيته . ومع بالغ أسفى تجاه الرجل الذى قتلته فإنى قررت إلا أفعل ذلك مرة أخرى . ورغم ما يقوله لنا السياسيون والجنرالات، فإن هذه الحرب ليست خيارا محتوما وأنه يجب ألا نكون هناك .

اليوم أنا أنظر إلى نفسى فى المرآة وأقول " مَنْ أنا .. وكيف كنت أفعل ذلك؟ " ولماذا كنت هناك .. ولماذا لم أفكر .. لم أكن

---

---

حديث السن فقد كنت أدلى بصوتى فى الانتخابات ..

### • هولوكوست أخرى :

إن القسوة التى يعامل بها جنود الجيش الفلسطينى جعلتنى أفهم ما حدث فى محرقة النازى (الهولوكوست) وبالطبع أنا لا أقارن بين حملات الإبادة الجماعية التى كان ينفذها النازى ضد اليهود وبين ممارسات جيش الاحتلال .. ولكن أساس هذا السلوك واحد .. وأريد من الناس أن تجرى دائما هذه المقارنة .. لأنى أدرك إلى أى مدى يقوم البعض بنوع من المواءمة النفسية حتى يستمر فى الخدمة بجيش الدفاع . كما أن الشعب الإسرائيلى نفسه يقوم بهذه المواءمة حتى يتجنب رؤية ما يحدث هناك على الجانب الآخر.. هذا ما كان يحدث بالضبط فى ألمانيا .. كان الألمان يريدون تجنب رؤية ما يحدث فى معسكرات الاعتقال النازية فى بولندا .. وكانوا يذهبون إلى العمل كل صباح ويعودون إلى منازلهم ليلا دون أن يلتفتوا وراءهم . وفى ضوء ما يحدث فى إسرائيل حاليا أستطيع أن أفهم اليوم مشاعر الألمان آنذاك وحتى مشاعر جنود الجيش النازى (الفيرماخت) ومن أجل وقف هذه المواءمات النفسية لتبرير ممارسات الاحتلال، فإن الأمر يتطلب قدرا كبيرا من الشجاعة والنضج والإدراك . أكذب عليك أن قلت لك إنى كنت أشعر بالخجل وأنا جندى ولكن عندما يستيقظ الضمير تكون فى حاجة إلى قدر من الشجاعة للتخلص من الأساطير التى تربيته عليها . بالطبع لا يمكنك التخلص منها نهائيا مرة واحدة . الأمر يستغرق سنوات .

### • عصيان مدنى :

أصعب شىء بالنسبة لى هو أصدقائى رفاق السلاح .. إذا كنت تخدم فى وحدة مقاتلة فأنت تعرف مدى قوة الصداقة بين

أفرادها. والجيش يعتمد على هذا الشعور ويدعمه .. لدى كثير من الأصدقاء الذين لم يعودوا يكلموني .. وبالنسبة لمن يكلموني فالعلاقة معهم متوترة . إنهم يعلمون إننى لن أكسب شيئاً من رفضى الخدمة بل على العكس هم يعرفون أن ذلك مدمر لأسرتى ومستقبلى . إنهم يعرفون أنى أحب الدولة ولكن البعض يعتبرنى سرطاناً فى جسد السياسة .. لست سعيداً بالاضطرار لرفض الخدمة فى الجيش ولكن البديل أسوأ بكثير . أدركت مع مرور الأيام إلى أى مدى كانت صعوبة تلك الخطوة التى اتخذناها بالرفض فى دولة عسكرية الطابع تخوض حروباً لا تبدو لها نهاية . فى البداية كنا نعتقد أن لدينا شعوراً جماعياً بأننا إذا تحركنا جيداً، فإننا قد نغرى رأى العام بالوقوف فى صفنا . كان لدى حماس المناضل تشى جيفارا . أعتقد أن بإمكانى تحريك الجبال من مكانها .. ولكنى أدركت أن التغيير يحتاج مزيداً من الوقت . إننى أرى الآن أن رفضنا لا قيمة له ما لم يؤد إلى إنهاء الاحتلال . ومن أجل الوصول إلى هذا الهدف فإننا فى حاجة إلى نوع من العصيان المدنى على طريقة مارتى لوثر كنج ومالكولم اكس وغاندى .. لقد عانى هؤلاء كثيراً فى البداية وتعثروا بل إن بعضهم قتل رمياً بالرصاص . وبكل تواضع إننا نقدم للشعب الإسرائيلى تجارب هؤلاء .. لا ندرك إلى أى مدى سيفلح تحركنا ولكن علينا ألا نتوقف عن العمل . فإذا توقفنا عن العمل فإننا نخلى الساحة للفريق الآخر .. سنظل نعمل على هذا الطريق ما حينما سنظل نقاوم حتى تنسحب آخر دبابة من جيش الدفاع من الأراضى الفلسطينية .





## الفصل الرابع



### الليفتنانت احتياط يانياف ايزكوفيتز

- جيش الدفاع يرتكب أبشع الجرائم باسم الأمن
- أطالب بمعاقبة كل المتورطين في مغامرة غزو لبنان
- سياسة طحن العظام فشلت في هزيمة شعب يريد الحرية
- عندما يكتبون تاريخ الانتفاضة ستظهر حقائق مروعة
- مهمة الجنود عند حواجز التفتيش عنصرية فاضحة





---

ولد يانيف لأبوين من رومانيا هاجرا إلى إسرائيل في الستينات ونشأ في حي راق بضاحية ريشون ليتسيون التجارية بتل أبيب ، وكان يانيف أحد من صاغوا وثيقة الرفض التي هزت المجتمع الإسرائيلي ، وبعد تسعة أعوام في الجيش اختار يانيف عصيان الأوامر بالخدمة في الأراضي المحتلة ، وعندما بدأ يانيف في رواية فظائع جيش الاحتلال كان كثيراً ما يسند رأسه بيديه ويتحدث ببطء شديد وكأنه يتحدث لنفسه أولاً قبل أن ينقل تفاصيل تلك الفظائع للعالم .

ويقول يانيف إن كثيراً من الجنود في الجيش الإسرائيلي يشاركون في أعمال القمع وترويع الفلسطينيين ويشعرون في قرارة أنفسهم بالألم لما يرتكبونه من جرائم ضد بشر كل ذنبهم أنهم يرضحون تحت راية الاحتلال ولكنهم لا يستطيعون التردد لحظة واحدة في تنفيذ الأوامر على اعتبار أن تلك الأوامر غير قابلة للجدل أو النقاش ، وما يزيد من إحساسهم بالمسئولية أنهم يتعلمون منذ اليوم الأول في الخدمة العسكرية أنهم يؤدون مهمة مقدسة من أجل مجتمعهم وأسررتهم وأولادهم ، وفي ظل هذا الالتزام يشعرون بأن ما يقومون به هو قدرهم وأوامر السلطة العليا ، إنهم مدفوعون بإحساس الإخوة الذي يربطهم بأصدقائهم

---

---

وأقرانهم الذين يعتقدون أنهم يشاركونهم إخوة الدم ، ووسط كل هذه الاعتبارات يبدو الحديث عن حقوق الفلسطينيين أمراً نظرياً وبعيداً عن دائرة الاهتمام ، ولكن هناك مَنْ تغلب عليه مشاعر الإنسان ليقف رافضاً السير على طريق الإجرام حتى النهاية ، ومن بين هؤلاء يانيف ايزكوفيتز فماذا يقول :

### ● نكتة سخيفة :

يقول يانيف : لا يمكن أن تكون أخلاقياً في غزة .. إنه أمر لا يتسق مع العقل والمنطق السليم .. فهل تستطيع أن تقوم بمهمة «كيسوفيم» ( ويقصد بها تدمير البنية الأساسية في منطقة محاصرة ) على أنغام الموسيقى وأنت تبتسم؟! هل تستطيع أن تمنح الفلسطيني الحلوى وتتمنى له صباحاً سعيداً بعد أن ينتظر لساعات عند نقطة تفتيش كي تسمح له بالعبور إلى عمله؟! وقد يقول البعض إننا يمكن أن نحسن المعاملة عند حواجز الطرق ونقدم لهم القهوة والبطائر بدلاً من أن نرفض تنفيذ الأمور بالكامل .. أية نكتة سخيفة هذه ؟

ولكن ما يقلقني أكثر هو أولئك الناس الذين يرون أن ما يحدث عند حواجز الطرق من إذلال للفلسطينيين إنما هو أمر شائن يقولون إن كل ذلك من أجل الأمن ، وهكذا يصبح كل شيء مباحاً باسم الأمن ، وقد يقول البعض إنه ليس هناك أدنى شك في أن الفلسطينيين يعانون كثيراً ولكن ماذا يمكن أن نفعل تجاههم مع الأخذ في الاعتبار التفجيرات الانتحارية ؟ إن مَنْ يردد مثل هذا القول إنما يتجاهل آثار ٣٥ عاماً من الاحتلال الذي دفع الفلسطينيين إلى مستنقع اليأس والإحباط .

---

لم أنشأ في بيت يسارى فوالدى واحد من صقور إسرائيل ..  
لقد خدم ضابطاً في الجيش عدة سنوات ، وإن كانت والدتى تميل  
قليلاً لمعسكر اليسار ، وقد شجعانى على الانضمام للجيش ، كما  
أن أختى الكبرى خدمت فى واحدة من أبرز الوحدات المقاتلة فى  
الجيش ، وهكذا قررت الانضمام إلى أكثر وحدات الجيش تميزاً  
ولو على سبيل « البرستيج » ، وبدأ الأمر بالنسبة لى وكأنى  
اختار أفضل سيارة من معرض للسيارات الفاخرة .

منذ سنوات الصبا كانت ميولى عسكرية تماماً وكنت أقرأ  
مجلة القوات الجوية ومجلة «فى المعسكر» التى يصدرها جيش  
الدفاع ، حتى لعب الأطفال التى كنت اشتريها كانت عبارة عن  
جنود من البلاستيك وغير ذلك من المعدات العسكرية ، ومع ذلك  
فإننى كنت هاوياً للموسيقى وأجيد العزف على الجيتار ، وعندما  
حان وقت الانضمام للجيش فكرت فى الانضمام إلى فرقة  
للموسيقى العسكرية ولكن فى النهاية قررت الانضمام إلى وحدة  
مقاتلة وقلت لنفسى إنها فرصتى الوحيدة لخدمة الوطن .

كان طموحى الوحيد هو أن أكون ضابطاً وكانت فترة التدريب  
العسكرى الأولى بالنسبة لى حياة جديدة حتى أننى عندما كنت  
أعود إلى بيت الأسرة فى فترة الإجازات وأرى المدنيين كنت أعتقد  
أنهم لا يفهمون أى شىء ! وبدأت أشعر بالتفوق والتميز على  
هؤلاء البعيدين عن الجيش وهو إحساس يشعر به تقريباً غالبية  
العسكريين فى جيش الدفاع ، وأنا آسف أن أقول ذلك .

### ● مشاهد مروعة :

وبعد ثمانية أشهر كلفت وحدتنا بمهمة فى قلقيلية وجنين

---



---

بالضفة الغربية ، أتذكر ذات مرة كنت فى دورية فى عربة جيب عسكرية ببلدة قباطيا فى ذروة عملية السلام وكانت هذه أول مرة أواجه فيها السكان الفلسطينيين ، شاهدت أطفالاً فلسطينيين يسبحون فى بحر من النفايات بحثاً عن طعام ، كان قائدى يمنعنا من أن نلقى لهم بقايا طعامنا . عصيت هذا الأمر ، وألقيت كل ما معنا من وجبات زائدة إلى هؤلاء الأطفال . كانت هذه أول مرة أعصى فيها الأوامر العسكرية ، كنت مصدوماً لتلك المشاهد المروعة ، أطفال فلسطينيون يتضورون جوعاً يفتشون أكوام النفايات بحثاً عن طعام !! إذا شاهد شخص ما طفل يهودى يفعل ذلك فى تل أبيب فإن الدولة كلها ستتقف على أطراف أصابعها .

الشيء الثانى الذى أتذكره عندما كنا نقوم بحملات مدهمة وتفتيش لحساب الأمن العام المعروف باسم «الشاباك» ، لم يكن لدينا فكرة عما نفعله وما المغزى منه . كانوا يقولون لنا « خذ هذه الخريطة .. وهذا هو المنزل .. اذهب هناك مهمتك أن تدخل المنزل مع قائدك وتفتشه » .. فى هذا الوقت كنت قد أمضيت فقط ثمانية أشهر فى الجيش ولم أكن أعرف ما نفتش عنه .. قالوا لنا « إنها أسلحة » .. ولكن كانت مهامتنا تتم فى مناخ مغلف بالضباب لا تعرف فيه ماذا تفعل . ذات مرة دخلنا بيتاً فلسطينياً كان أفراد الأسرة كلهم نيام فى غرفة النوم .. فتحت الأم الباب .. لم نقتحم المنزل بعنف .. فتشت المنزل وفتحت خزان الملبس .. جال بخاطرى كل أفلام الأكشن الهوليوودية التى شاهدتها . خيل إلى أن واحداً سوف يقفز فى وجهى من أحد هذه الخزائن . وفجأة انطفأ نور الكشاف الذى استخدمه فى التفتيش أعطتني المرأة لمبة

---

---

صغيرة لأكمل مهمتى .. تذكرت أن ذلك لا يتفق مع أحداث السيناريو فى أفلام هولوود .. ولكن لم أدرك بعد أن ما أقوم به لا يتفق أبدا مع أبسط حقوق الإنسان أن تدخل غرفة نوم أطفال لتفتيشها فى منتصف الليل !

### • كيف تقتل طفلا :

الحادث الثالث هو الأسوأ . سقط حجر على عربة جيب وأصيب جندي كان بداخلها .. دربوني على كيفية ضرب الأطفال والصبية من رماة الحجارة دون شعور بالذنب وكان شعارهم « أى شخص يتقدم نحونا يريد قتلنا ولا بد أن نبادر بقتله » ، اعتقلنا الطفل الذى ألقى الحجر واستمر الجنود فى ضربه بكعوب البنادق فى وحشية لم أر لها مثيلا ونقل الطفل إلى المستشفى فى حالة حرجة مصابا بكسور فى جميع أنحاء جسمه .

لقد أصبح الجيش هو الجهاز التنفيذى والتشريعى والقضائى فى الدولة . لم يعتقل الجنود الطفل فقط بل قرروا نوع العقوبة التى يجب أن توقع عليه ونفذوها فى الحال ! ولكن ما أثار ضيقى الشديد تلك التحقيقات الصورية التى جرت بعد الحادث والتى أثبتت أن الجنود استخدموا « قوة معقولة ومناسبة » للتعامل مع الطفل . لقد عرفت فيما بعد أن هناك عملية تستر مروعة على تفاصيل ما حدث .. ليس هناك فهم لقواعد استخدام القوة فى الجيش أو القانون أو حقوق الإنسان . إننى أفهم أن تعتقل طفلا كأن يحاول أن يهاجمك كما أفهم أن تكبل يديه ولكن إلى هنا تنتهى مهمة الجندي ، وتبدأ مهمة المحكمة أو القضاء ليوقع عليه الجزاء المناسب لجريمته .

---

وقد يسألني أحد كيف واصلت العمل مع الجيش في ظل هذه الظروف ؟ وأقول .. إننى سأحكي الحقيقة كاملة .. لم أفكر أبداً فيما أفعله أو لماذا أو في أى سياق يتم هذا . عندما كنت أشعر بالضيق مما أراه كنت أفرغ مشاعري في قصيدة شعرية أو في مشادة مع خطيبتى .. كنت أتمزق داخلياً ولكن بدوافع إنسانية .. إذ لم يكن هناك أى تساؤل بشأن أخلاقيات احتلالنا للضفة الغربية .. لقد تعلمنا أن حرب ١٩٦٧ بدأت بعدوان ضدنا .. فماذا نفعل إذا بدأ أحد علينا الحرب وحاول قتلنا ؟ لم أشعر أبداً بأن الفلسطينيين شعب له هوية تستحق أدنى اعتبار .

العنصر الآخر الذى عزز الدوافع العسكرية داخلى كان رحلة مدرسية إلى بولندا . فى بولندا شعرت بالإهانة التى يلقاها اليهود وقلت « لن يحدث ذلك مرة أخرى » . نحتاج إلى جيش قوى ، وإن كنت أدركت بعد ذلك أن ما شعرت به كان مقصوداً لذاته وهو السبب الذى من أجله ينظمون مثل هذه الزيارات . كان لدى شعور دائم بأنه إذا لم تكن هناك دولة يهودية فإننى ما كنت موجوداً على قيد الحياة . فضلاً عن ذلك، فإن الحفاظ على بقاء الشعب اليهودى ليست مسألة قابلة للنقاش ولا تخضع لاعتبارات أخلاقية أياً كانت.. لم نقرر أن نكون محتلين ولكن فعلنا ذلك دفاعاً عن النفس .. وشعرت بأن استيطاننا لهذه الأرض أمر مشروع .. باختصار كل ما تفعله الدولة هو تصرف أخلاقى ومبرر وضرورى على ضوء ما حدث لليهود فى محارق النازى . كانت هذه هى الأفكار التى تشربتها منذ نعومة أظفارى ليس فقط فى البيت ولكن فى المدرسة ودروس التاريخ ووسائل الإعلام وكل ما كان يحيط بى .



## • جريمة بدون عقاب :

ولكن اعتقادی فی کل هذه الأشياء بدأ يتآكل قبل قليل من الانسحاب الإسرائیلی من جنوب لبنان .. فعلى مدى ثلاث سنوات كانت مهمتی مع الوحدة التي أخدم بها حماية القرى والبلدات الإسرائیلیة عند الحدود الشمالية .. كل ما كنت أعرفه هو أن حزب الله جماعة من الإرهابيين وأن علينا قتل الإرهابيين .. ولكنی لم أسأل نفسي أبدا لماذا نحن موجودين هنا فی الشريط المختل بجنوب لبنان . فی البداية كنت غاضباً جداً من حركة الأممات الأربع التي تدعو لانسحاب القوات الإسرائیلیة من لبنان.. لأنی كضابط خسر عدداً من جنوده لم أكن على استعداد للتسليم بأننا هناك دون سبب . وكل ما تعلمته منذ اليوم الأول للانضمام للجيش هو أن هدفی الأساسي قتل الإرهابيين فی لبنان. أكبر عمل بطولی يحظى بالتمجید فی جيش الدفاع هو أن تقدم جثة شخص على أنه إرهابی .. فهذا هو السبب الذي من أجله نشأت وهو السبب الذي من أجله وضعت على رأسی هذا البيريه !

نستطيع الخروج من هذه الدائرة المظلمة .. انظر إلى الأمريکيين أنهم لا يختلفون عنا فی النظر إلى العرب بدءاً من أفلام هوليوود وانتهاء بما تفعله القوات الأمريکية حالياً فی أفغانستان والعراق . هذا النهج الذي يتعلمه الأطفال اليهود منذ الصغر يجعلهم يشعرون بالتفوق العنصری على عرب إسرائيل وحتى اليهود الشرقيين (السفرديم ) يشعرون بأنهم يهود من الدرجة الثانية فی إسرائيل وفي المقابل فإن اليهود الغربيين (الاشکيناز ) يخدمون فی وحدات النخبة بجيش الدفاع . إذا لم تكن أبيض

---

البشرة وإذا كنت تستمع لأغاني أم كلثوم فإنك تشبه العرب أكثر من أن تكون إسرائيليا .

### ● جريمة باراك :

لقد ارتكب باراك جريمة تاريخية عندما صور عرفات على أنه شيطان بعد فشل كامب ديفيد . إنه خطأ باراك أكثر مما هو خطأ عرفات . وأخطر ما فعله باراك أنه خلق شعورا عاما لدى الإسرائيليين بأن حل المشكلة الفلسطينية مستحيل وأن عرفات يكذب وهو ما ساعد اليمين على ترويج مزاعمه بضرورة عدم التسامح تجاه الأراضى .

والآن هذه هي صورة معسكر اليسار .. فالعمل منقسم خاصة بعد أن شارك في حكومة وحدة وطنية مع الليكود ليصبح جزءا من اليمين وحركة ميريتس لا يسمع لها أحد صوتا وعلينا ألا ننسى أن زعيمها يوسى ساريد كان أحد الصقور البارزين في إسرائيل الذي رفض يوما الانسحاب الإسرائيلي من لبنان . زعيم المعارضة الآن في إسرائيل هو زعيم حزب الصمت . أكبر خطأ ارتكبه معسكر اليسار أنه ركز على قضايا الأمن ( وهي القضية الأساسية لأحزاب اليمين ) وتجاهل قطاعات اجتماعية حيوية في المجتمع اليهودي كانت تشكل القاعدة الشعبية له . هذه القطاعات لا يمكن لليसार أن يصل إليها الآن . عندما يتحدث زعماء اليسار اليوم، فإن هؤلاء الذين شعروا بالتجاهل على مدى سنوات يصمون أذانهم .. إنها الخطيئة الكبرى التي بدأت مع إعلان قيام إسرائيل وحتى اليوم .. وأشك كثيرا في إمكانية تصحيح هذا الخطأ في المستقبل القريب .

وبالنسبة للمؤثرات التي دفعتني لاتخاذ قرار عصيان الأوامر

---

---

بالعمل فى الأراضى المحتلة أقول .. قبل ثلاثة أشهر كنت فى غزة وقمت بما يقوم به أى جندى فى جيش الدفاع ، وعندما عدت إلى المنزل شعرت بنوع من انقصام الشخصية .. ففى حياتى المدنية لم تمتد يدى بأذى لأى أحد . كنت أحاول أن أكون عطوفا مع الجميع وأميل إلى أن أكون شابا طيب الخلق . ولم أكن مثلا أخرج ليلا للتحرش بالنساء .

عرفت أننى لم أذهب للخدمة فى الأراضى مرة أخرى .. قلت لصديقى ذلك فشاركنى مشاعرى . توصلنا إلى نتيجة مؤداها أننا لا يجب أن نعلن رفضنا ثم نعود إلى المنزل وننام فى هدوء .. إننا صهاينة ووطنيون وعلينا مسئولية تجاه جنودنا ولا بد أن يكون رفضنا عملا مسموعا وألا يتحول إلى عمل فردى .. وهذا يفسر سبب توقيعنا لخطاب حركة الرافضين فى الجيش .

إنه نفس الشعور الذى دفعنا كى نكون جنودا مقاتلين هو الذى يقف وراء قرارنا الآن بأن يشعر جنودنا بأننا لم ولن نتخلى عنهم. نريدهم أن يدركوا أننا نكافح من أجلهم أيضا .. غالبيتهم لا يريد أن يخدموا هناك ( فى الأراضى الفلسطينية ) أردنا أن نبلغهم أن من حق الشخص فى دولة ديمقراطية أن يرفض الأوامر إذا لم يكن مؤمنا بها .

### • جرائم جيش الدفاع :

وكثير من الناس يسألون لماذا هذه الحركة الآن .. إن ذلك يضر بأمن الدولة .. وأقول لهم .. بعد أن ينتهى كل شىء سوف يسأل الكثيرون : لماذا ما فعلناه فى الأراضى الفلسطينية .. فما يحدث أولاً وأخيرا هو عدوان سيظل أثره على مدى أجيال قادمة. وحتى



---

الآن لا يمكننا أن نقدر مدى بشاعة ما يحدث . عندما يكتب الفلسطينيون تاريخ الانتفاضتين الأولى والثانية ، فإن ما فعله جيش الدفاع سينكشف وسيكون أمرا مروعا .

ودعوني أكشف أمرا مهما .. لسنا أول من رفض الخدمة من بين ضباط الجيش في الأراضي الفلسطينية المحتلة .. ولكن الحقيقة أن الجيش يتبع سياسة على مدى سنوات تقوم على التكتّم والتعامل مع مثل هذه القضايا بهدوء وبعيدا عن أعين وسائل الإعلام . ولم يكن هناك سوى حالات محدودة أودع أصحابها السجون .

وفي النهاية أقول .. نحن من جيش الدفاع ولكننا قررنا الخروج على الإجماع ليس بدافع الخوف أو لأننا تعرضنا لغسيل مخ .. ولكن لأننا تسببنا في ظلم مروّع لشعب كامل . خرجنا على الصف لأننا لانملك أى خيار آخر . علينا التزام أخلاقي كى نرفض . إنه دور تاريخى علينا أن نقوم به . إنه البديل الوحيد لما يحدث هناك من فظائع . هل يمكن أن تتصور أن كل ما نقوم به عندما نخدم في الأراضي الفلسطينية هو مراقبة الفلسطينيين لمنعهم من عبور الحواجز الأمنية ونقاط التفتيش مقابل ضمان حرية التنقل لليهود !! إنك بهذه الطريقة تطبق سياسات عنصرية محضّة وبشكل فاضح .. فإلى متى ؟ !

## الفصل الخامس



### الميجور احتياط رامى كبلان

- دولتنا تقسوم على الظلم ومصاصي دماءها إلى خراب
- الأوامر، اقتلوه عند الجدار يتسلسل عن الكاميرا
- تربيينا على أن العرب أعداء منحطون.. ونظامنا يمجّد مصاصي الدماء
- حزب العمل هو من احتل الأراضي الفلسطينية وزرعها بالمستوطنات
- لعبة سخيفة جدا بين الجيش والمستوطنين بمباركة الحاخامات
- أتوبيس مصفح و٣ عربات جيب ودبابية لنقل طفل واحد إلى نتساريم!
- باراك لعب في كامب ديفيد مثل مقامير يراهن بكل شيء مرة واحدة





---

ظل قطاع غزة مغلقاً منذ توقيع اتفاقات أوسلو عام ١٩٩٣ . هذا القطاع يقطنه نحو ١,٢ مليون فلسطيني مزدحمين كلهم في بلدات وقرى ومخيمات تمتد على نحو ٣٦٠ كيلومتراً مربعاً . والقطاع الذي لا تزيد مساحته على مساحة مدينة أمريكية محصور في رقعة من الأرض بعمق ثمانية كيلومترات يحدها البحر . ولا يسمح سوى للمستوطنين بحرية التنقل داخل هذه الأرض حتى يتمكن الجيش الإسرائيلي من السيطرة على المنطقة بكاملها بشكل جيد . ويخضع الفلسطينيون لقيود مشددة في التنقل من مكان مغلق إلى آخر مما يعنى أنهم يعيشون في مجتمعات صغيرة منفصلة تمثل أقل من ٨٠ في المئة من إجمالي القطاع . وفي الواقع يسيطر ٦٩٠٠ مستوطن يهودي على ٢٢ في المئة من الأرض و ٢٥ في المائة من المياه . وتمزق ١٨ مستوطنة والطرق الواصلة إليها أراضي القطاع حتى أن الفلسطينيين لا يتبقى لهم أى قطعة متصلة من الأراضي . علاوة على ذلك فإن المستوطنين عندما يستخدمون طريقاً، فإنه يغلق في وجه الفلسطينيين . هذه العناصر تفسر لماذا يعيش أكثر من ٨٢ في المائة من الفلسطينيين في قطاع غزة تحت خط الفقر بأقل من دولارين يومياً . ومع حرمانهم من حرية التنقل والعمل وتلقى

---

---

الرعاية الطبية أو الذهاب إلى المدارس وزيارة أقاربهم يعيش الفلسطينيون في فقر مدقع تحيط بهم الأسوار المهيبة . باختصار هذه التجمعات المزدهمة التي تحيط بها الأسوار تعنى أنهم يعيشون في سجن كبير .

### ● عصيان الأوامر:

ويتمثل الهدف الأساسي للجيش الإسرائيلي المتمركز في غزة في حماية المستوطنين والقيام بدوريات على الحدود مع مصر وفرض الإغلاق والحصار على الفلسطينيين . هذه الظروف غير الإنسانية دفعت بعض العسكريين في " جيش الدفاع " إلى التمرد وعصيان الأوامر .. ومن بين هؤلاء الميجور رامى كبلان ..

نشأ رامى في تل أبيب حيث مجتمع الصفوة والنخبة الحاكمة وكبار موظفي الحكومة . ماتت أمه التي كانت تنتمي لليasar وهو في الثالثة عشرة أما والده فكان رجل أعمال لا يشغل نفسه أبدا بالجيش أو شؤون السياسة . وبحكم رتبته كان كبلان أعلى ضابط يوقع وثيقة رفض الخدمة في الأراضي الفلسطينية المحتلة .. فماذا يقول هو عن نفسه ؟

في الثامنة عشرة وجدت نفسي في الجيش بشكل آلى . وطوال السنوات الست التالية كان الجيش يتفق مع تكويني وتطور أفكاري . أعترف بأن الجيش غيرنى من إنسان أنانى إلى إنسان جاد . اعتبرت الخدمة العسكرية هدفا نبيلاً وكان ذلك أمرا غير مطروح للنقاش . ولكنى كرهت الخدمة في الأراضي المحتلة وأصبحت على اتصال بالسكان المدنيين . شعرت بأن جيش الدفاع يخدم أغراضا سياسية هناك . لم أستطع أن أظل كما أنا أمام

---

معاناة الفلسطينيين وظروفهم المعيشية التي تحط من قدر الإنسان. لم أكن أشعر بالارتياح وأنا أقف على حواجز التفتيش لاستجواب فلسطينيين فقراء ذاهبين إلى عملهم في الرابعة فجرا .

### • كلمة السر "كيسوفيم" :

لحسن الحظ كان تدريبي على الدبابات والآليات المخصصة للحرب الشاملة . وكانت الفترات التي خدمت فيها في الأراضي محدودة بشكل لم يتح لى أن أطلع على كثير مما سمعته من آخرين . كانت فترة الاحتياط الأخيرة لى فى قطاع غزة وكان العمل الروتينى اليومى لنا يتصل بتدمير الأراضي مثل تقطيع أشجار البساتين وتجريف أراضي الحقول . فى البداية رفضت ولكنى رضخت لأن قائدى الذى كان أيضا صديقى طلب منى أن أساعده . كانت كلمة السر فى عملنا دائما هى "كيسوفيم" وهى كلمة معناها بالعبرية التدمير الوحشى للبنية الأساسية للمجتمعات وسبل معيشة الناس . وكانت عمليات التدمير تتم على هذا النحو.. تدخل دبابة وجرافتان أو ثلاث جرافات منطقة محاطة بسياج تدعمها دبابة أخرى . هذه الحملة تأتى دون سابق إنذار إلى قطعة من الأرض تخص أناسا فقراء يعيشون فى منازل مبنية من قطع الأحجار ثم تبدأ الجرافات فى تقطيع الزرع وتقطيع الأشجار وتجريف الأرض تحت سمع وبصر هؤلاء الناس الذين لا يملكون سوى متابعة ما يحدث فى يأس وعجز . لم يكن يجرؤ أحد من هؤلاء على الاحتجاج أو حتى التلويح بقبضته غاضبا فى وجه الدبابات . كان الخوف يجبر هؤلاء الناس على الوقوف فى صمت وذهول وهم يرون تدمير مصدر رزقهم الوحيد من أشجار فاكهة



---

أو زيتون بعضها يصل عمره إلى ٢٠٠ سنة . لم يكن أحد يأخذ معاناتهم في الحسبان ، وكل ما في الأمر بالنسبة للجيش أن تلك الأشجار تعرض حياة الجنود للخطر .

### ● اقتلوهم عند الجدار :

وذات مرة كانت مهمة وحدتنا تتمثل في إغلاق القطاع ومنع العمال الفلسطينيين من الانتقال للعمل في إسرائيل وعند إحدى نقاط التفتيش كان عملنا اليومي ينحصر في مطاردة العمال الفلسطينيين الذين يحاولون التسلل إلى أرباب العمل الذين ينتظرونهم على الناحية الأخرى من الجدار . وفي كل مرة نطاردهم فلسطينيا ثم نمسك به نعيده إلى غزة بعد استجواب سريع وتهديده وتحذيره من تكرار ذلك . ولكن صدرت أوامر جديدة من قادتنا تقول إن السماح لمثل هؤلاء بتكرار محاولات التسلل قد يغري إرهابيين بالقيام بنفس العمل ولذلك تغيرت قواعد إطلاق النار لتسمح بإطلاق النار على مَنْ يحاولون التسلل .. وكان نتيجة السياسة الجديدة مقتل كثيرين من بينهم طفل عمره سبع سنوات دون أدنى سبب فقد كانوا كلهم عمال ولم يكونوا إرهابيين . وبعد مقتل الطفل أدخل القادة تعديلا على قواعد إطلاق النار حتى لا يكون ذلك أمام الكاميرا فأصبحت "اقتلوهم عند الجدار" لأن قواعد إطلاق النار عند الجدار تتم دون قيود !

حاولت الوقوف والاحتجاج ولكني لم أستطع خشية أن أوصم بأني شخص انهزامي أو يساري متطرف أو محب للعرب .. دربنا قائد الوحدة كيف نطلق النار على امرأة وأطفالها الخمسة إذا ساروا بجوار الجدار ليلا . كانت القواعد تقضى بأن نقتلهم ثم

---

نعلم أننا اكتشفنا ستة أشياء تتحرك تتقدم نحونا بشكل مريب .  
بمعنى آخر وطبقا لقواعد إطلاق النار فإنك ما أن تشعر بالارتياح  
تجاه شخص فيمكنك أن تطلق عليه النار دون تردد . ومع ازدياد  
أعمال القتل صدرت أوامر أكثر تقييدا لإطلاق النار ولكن قادة  
الوحدات تذرعوها بأنها تحد من قدرتهم على حماية جنودهم ،  
ليستمر الوضع على ما كان عليه . كان معنا قادة يساريون ولم  
يجرؤ أحد منهم على القول إن هذه الأوامر غير مشروعة ولكني  
قلت في نفسي إن تلك الأوامر غير أخلاقية وأمرت الجنود بأن  
يطلقوا النار في الهواء لتخويف المتسللين وإجبارهم على العودة  
إلى غزة .

### • حكاية نتساريم :

نتساريم مستوطنة ذات طبيعة خاصة يقطنها نحو خمسين  
أسرة يهودية وتقع وسط قطاع غزة ولا يحيط بها أي مستوطنات  
أخرى . كانت كتيبة كاملة تعززها الدبابات والعربات المدرعة تقف  
دائما على أهبة الاستعداد لحمايتها .. أي أن عدد الجنود كان أكبر  
من عدد السكان المكلفين بحمايتهم . لا أحد من سكان نتساريم  
يدخلها بسيارة عادية .. وسيلة النقل الوحيدة هي الأتوبيسات  
المصفحة ومن المناظر المضحكة أنه في بعض الحالات نضطر لنقل  
طفل واحد في حافلة مصفحة تحيط بها ثلاث عربات جيب مدرعة  
ودبابة !!

والمستوطنة لا يمكن الوصول إليها إلا بطريق يشطر قطاع غزة  
نصفين شمالا وجنوبا .. تمت تسوية كل شيء على جانبي هذا  
الطريق بالأرض واقتلاع الأشجار وهدم المنازل والمصانع التي

---

تبعد مئات الأمتار عن الطريق فى الاتجاهين . هذه المستوطنة أشبه ما تكون بعظمة محشورة فى حلق قطاع غزة . وعلى مدى أكثر من ٢٠ عاما كتب الكثير عن عمليات مصادرة الأراضى الفلسطينية وسرقة المياه وتدمير المحاصيل . ولذلك ليس غريبا أن تكون نتساريم هدفا للهجمات الفلسطينية بكل ما يتاح لهم من وسائل وسبل .

كان الشبان الفلسطينيون بعد كل صلاة جمعة يأتون إلى الجدار ويوجهون الشتائم للجنود ثم يبدأون فى رشقهم بالحجارة ويقتربون أكثر فيطلق الجنود النار فى الهواء وعندما يلوذ الصبية بالفرار يطلق القناصة النار عليهم . فالاعتقاد الراسخ فى رأس كل هؤلاء القناصة أن الفلسطينيين هم الذين يدفعون أولادهم للموت برصاص الإسرائيليين لتصوير جنثهم واستخدامها نقطة لحسابهم فى حملتهم الدعائية !

### ● صحوة ضمير :

وبعد كل ما شهدته فى غزة لم أكن قد وصلت بعد إلى نقطة رفض الخدمة هناك لأنى شعرت أساسا بانى مسؤول تجاه جنودى.. وإذا لم أكن معهم فقد يتعرضون للخطر أو يقومون هم بأشياء ضارة . وبعد آخر جولة ميدانية قمت بها فى غزة استغرق الأمر منى عدة أشهر كى اتخذ قرارا بعدم العودة إلى هناك مرة أخرى . أبلغت قائدى بالقرار وكنا على وشك تسوية الأمر بهدوء بحيث يتولى قائد آخر تغطية موقعى وأن أتولى أنا أى مهمة أخرى . ولكنى سمعت بعد ذلك بالخطاب الذى أصدرته حركة الرافضين . وجدت أن الاعتبارات الأخلاقية من أجل مصلحة بلدى



---

ومجتمعى أن أوقع على هذا الخطاب . ولكنى بقيت فى حالة جدل مع ذاتى . كنت عازما على إخفاء الأمر برمته حتى أتجنب دفع ثمن "الخروج على وحدة الصف" . لم أكن راغبا فى دخول مواجهة مع الجيش . ولكن بعد عشرة أيام قصفت قوات جيش الدفاع محطة الإذاعة الفلسطينية فى رام الله .. فوقعت الخطاب . وبعد أيام كنت منخرطا تماما فى حركة الراقضين.

ربما استغرق منى هذا القرار وقتا أطول من اللازم ولكن لا بد من القول إن صوت الضمير عندى كان خافتا طوال خدمتى الأساسية بالجيش ومعظم خدمتى الاحتياطية . وعندما التحقت بالجامعة قرأت كثيرا عن العلوم السياسية وإدارة الأعمال وبدأت أفكر فى معنى الاحتلال لتحديد مواقفى السياسية . لاحظت أن الإسرائيليين لا يشعرون بأى غضاظة تجاه احتلال الأراضى الفلسطينية .. ولكن عندما نتحدث معهم عن احتلال أى دولة لأراضى دولة أخرى يتبارون فى وصف مدى بشاعة الاحتلال . وبالنسبة للجنود، فإن الجيش يقوم باستمرار بعملية تفتيت لمعتقدات وأفكار هؤلاء الجنود . فأحكامنا الأخلاقية تصاب بالشلل لعدة عوامل أهمها أننا نتبنى فكرا يقوم على اعتبار العرب أعداء منحطين متآمرين غير آدميين . كما أن مؤسستنا العسكرية تمجد هؤلاء الذين يقتلون ويشبعون تعطشهم للدماء ، ونحن نتلقى التشجيع على أن نكون جزءا من هذه العصابة . وعندما تتجمع كل هذه العناصر فى وضع احتلال تكون الكارثة قد حلت . ولكى تقف وترفض هذه المأساة تكون فى حاجة لتجاوز ضمير جماعى غرس داخلك على مدى سنوات من التعليم والتنشئة . ولكن مثل

---

هذه الأشياء تحتاج وقتاً لتنمو وتتطور إلى أن تصل إلى الضفة الأخرى من النهر التى يستيقظ عندها الضمير .

وربما يسألنى أحد عما إذا كان لدى أى رؤية سياسية .. وأقول إننا فى حاجة لاستعادة نمط القيم والأخلاق اللازم لبقاء دولة إسرائيل . لا بد أن تترك إسرائيل الفلسطينيين يعيشون وأن يقيموا دولتهم المستقلة على الأراضى المحتلة عام ١٩٦٧ . على إسرائيل أن تعترف بدورها فى المأساة التى يعيشها الشعب الفلسطينى على مدى الخمسين عاما الماضية وأن تكون على استعداد لعلاج وتصحيح هذه التجاوزات والأخطاء. لا بد أن نجد أيضا حلا لمشكلة اللاجئين دون أن يؤثر على الأغلبية اليهودية . وبعد زوال الاحتلال يتعين على إسرائيل أن تعيد تأهيل علاقاتها مع جميع الأقليات والجماعات المهمشة وخاصة مواطنينا من عرب إسرائيل . لكن ما دامت إسرائيل تعطى اليهود مزايا تميزهم عن غيرهم، فإنها لا تستطيع معاملة الجميع على قدم المساواة بغض النظر عن الجنس واللون والدين والعرق . أنا شخصا أفضل وجود دولة لكل المقيمين على ترابها .. دولة لا يميزها عرق أو دين.. ولكن القضية الأكثر إلحاحا الآن هى إنهاء الاحتلال بأسرع ما يمكن .

### ● حكاية عرض باراك :

ربما يتحدث البعض عن " العرض السخى " الذى قدمه ايهود باراك فى كامب ديفيد ورفضه الفلسطينيون .. وربما يسارع البعض إلى إلقاء اللوم عليهم .. ولكن النظر بدقة إلى الظروف المحيطة بما حدث يؤكد أن القضية لم تكن كذلك أبدا . ومن

---

الضرورى أن نوضح ما حدث فى كامب ديفيد . لقد وصل باراك إلى كامب ديفيد بعد أن فقد غالبية أعضاء الكنيست الثقة فى نهجه السياسى . لقد وصل إلى هناك مثل مقامر مستعد للمراهنة بكل رصيده فى البنك .. فإذا ربح حصل على السلام وإذا خسر ضاع كل شىء . لم يكن عرض باراك مغريا للفلسطينيين بما يكفى ؛ إذ لم يقدم لهم ما يحتاجونه من انسحاب من الأراضى المحتلة عام ١٩٦٧ أو حل مشكلة اللاجئين .. وكل ما قاله باراك للفلسطينيين "لن تحصلوا على أكثر من ذلك .. إما أن تقبلوه أو ترفضوه" . كان باراك يعلم أن رفض الفلسطينيين لهذه الصفقة يعنى القضاء على مستقبله السياسى ولذلك بادر بتحميلهم المسؤولية متهما إياهم بأنهم غير مستعدين للسلام الحقيقى . وهكذا فشل باراك وفشل معه معسكر اليسار . ولكن لابد من الإشارة إلى أن فشل اليسار لم يبدأ بعهد باراك بل يعود إلى فترة أبعد من ذلك بكثير . فقد بنى اليسار شرعيته على مجتمع النخبة وهى الفئة التى حظيت باهتمامه . ثم حاول استخدام عملية السلام على حساب رفاهية الدولة ولم يقدم شيئا للفقراء . وبينما ازداد الأغنياء غنى وظل الفقراء مكانهم حيث هم . كان ٢٠ فى المائة من السكان لا يحصلون على أى دخل ويعيشون على المعونات الاجتماعية . كان الجميع يعلمون أن الفقر هو التربة الخصبة لنمو التطرف والعنصرية. لم ترفع أى حركة يسارية فى إسرائيل من حزب العمل إلى ميريتس إلى جماعة "السلام الآن" راية الضمير أكثر مما رفعت راية المنفعة والمصالح . وكلما كانت الفوائد الناتجة عن الاحتلال أكثر خفتت الأصوات المعارضة له . وعلينا ألا ننسى أن

---



---

العمل هو الذى احتل الاراضى الفلسطينية فى البداية . وهو الحزب الذى أبقى هذه الموارد من قوة عمل رخيصة وأراض ومياه مجانية فى أيدي إسرائيل . كانت هناك فرص لا تعد ولا تحصى لإعادة هذه الأرض إلى العرب مقابل السلام . والعمل هو أيضا الذى زرع أول مستوطنة على الخريطة بما فى ذلك ما يسمى بالمستوطنات الإيديولوجية مثل مستوطنة جوش ايمونيم . وعندما بدأت الانتفاضة الأولى أدرك هؤلاء أن الاحتلال أصبح عمل غير مربح للدولة ، وخاصة للذين لديهم شىء يخسرونه وهم الفئة التى شكلت ما يسمى بمعسكر السلام . وبعد فشل محاولة قمع الانتفاضة بسياسة " تحطيم عظام الفلسطينيين " التى نادى بها زعيم العمل آنذاك ، أدرك أنصار معسكر السلام أن مصلحة إسرائيل تكمن فى إقامة دولة فلسطينية وتحقيق السلام الإقليمى.. أى أن المسألة كلها مصالح ولا وجود فيها للضمير.

### ● لعبة الاستيطان :

وعن الأعباء المستوطنين .. حدث ولا حرج .. وسأضرب لكم مثلا .. فى إحدى المهمات تلقيت مع الوحدة التى أقودها أوامر بإخلاء مستوطنة عشوائية إقامها عدد من الشبان المتطرفين قرب كارنى شمرون . وعندما حان وقت إجلائهم استعان هؤلاء الشبان بمئات آخرين من المستوطنين الذين سدوا أمامنا الطرق بالعربات ومنعوا قوات الجيش من الوصول إلى مستوطناتهم . ولكننا وجهنا إليهم عدة إنذارات بإخلاء المستوطنة وإلا فإننا سنلجأ للقوة لإخراجهم منها . وبعد ليلة طويلة اضطررنا للنوم فيها أمام عرباتنا وافق وفد منهم على الذهاب إلى حاخاماتهم بالقدس

---

لاستشارتهم والعودة فى اليوم التالى وبعد عودتهم أبلغونا بالموافقة على الإجلاء على أن يعودوا مرة أخرى بعد شهر .. نعم نفذنا الإخلاء ولكن ماذا كان فحوى قرار الحاخامات بالإجلاء المؤقت .. أدركت بعد ذلك مغزى قرارهم وهو السماح بتصوير عمليات الإخلاء كي يظهر الجيش فى صورة أخلاقية وهو يزيل مستوطنة عشوائية ثم تكون عودة المستوطنين بعد شهر إلى نفس المكان مشروعة على أساس أنها تمت باتفاق مع الجيش !! وعلى هذا المنوال تسير لعبة شد الحبل بين الجيش والمستوطنين بناء على قاعدة تقول " دع الجيش يكسب ثم عد بعد قليل " !

وللأسف، فإن هؤلاء المستوطنين الذين يعتنقون أشد الأفكار إظلاما يقودونا إلى حرب بلا هدف تدمر المشروع الصهيونى من الأساس . إنهم أصبحوا من القوة بحيث بات بإمكانهم جر الدولة كلها وراءهم . لابد أن نعيد صياغة هذه المعادلة لأن الدولة ليست ملكهم وحدهم بل ملكنا نحن أيضا .

### ● كلام الله :

هناك سطر فى الإصحاح (أحد أسفار التوراة) يوضح أين نقف نحن الآن .. يقول الإصحاح إن شعب إسرائيل يحيا فى يهودا حياة أخلاقية .. ثم يحذر " إذا كنتم طائعون وراضون فستاكلون خيرات هذه الأرض ولكن إذا تمردتم ورفضتم فإنكم ستهلكون بالسيف بأمر الله . هذه القاعدة التى وردت فى الإصحاح تعكس قانوننا إلهيا مفاده أن الدولة التى تقام على الظلم مآلها إلى دمار وخراب ، فى حين أن أى وجود يقام على بنيان من العدل، فإنه ينعم بالرخاء والرفاهية . هذا القانون الإلهي يكرر نفسه فى كل

---

مراحل التاريخ الإنساني . واليوم في إسرائيل .. انتظر .. إننا نباد  
بالسيف .. إننا نهلك ونقترب من القضاء مثل شعب يهودا لأن  
وجودنا أقيم على أساس من الظلم بسبب الاحتلال أولا وأخيرا .  
ولن ينقذنا من الإبادة بالسيف إلا العودة إلى إقامة بنياننا على  
أساس من العدل . فهل فات وقت التغيير.



## الفصل السادس



### الليفتنانت احتياط يوفال لوتيم

- فضلت دخول السجن عن الخدمة في معتقل ميبدو
- كيف يسجن أبرياء لسنوات دون محاكمة في دولة ديمقراطية؟
- حكاية الهولوكوست تغذي الشعور بالخوف لدى جميع اليهود
- يا عزيزي كلنا نازيون.. وقطار السلام لا تحركه أنهار الدم



---

يوفال لوتيم (٤٥ عاما) مخرج سينمائي وأب لطفلة يعيش في بلدة كفار شمارياهو وهي بلدة راقية شمال تل أبيب . ولد يوفال في حيفا لأسرة من اليهود الغربيين (الاشكيناز) ذوى ميول اشتراكية ومن مؤيدي حزب العمل ومع ذلك فإنه لم ير نفسه مميزا بأى مميزات خاصة عن غيره . رفض يوفال الخدمة فى الأراضى الفلسطينية أكثر من مرة . وسجن مرتين بسبب هذا الرفض . المرة الأولى فى حرب لبنان .. كان يومها ليفتانت فى الجيش يبلغ من العمر ٢٥ عاما ولم يشارك فى هذه الحرب . ولم يسجن ولكنه نقل إلى وحدة أخرى . وبعد ذلك رفض الخدمة فى الأراضى الفلسطينية وفى كل مرة كان قاداته يهددونه بالسجن ولكن فى نهاية الأمر ينقلونه إلى وحدة أخرى .

وخلال الانتفاضة الأولى رفض يوفال الخدمة فى غزة ، فسجن ٢٨ يوما فى سجن عسكرى . وبعد عدة سنوات رفض أن يخدم فى سجن مجدو .. ورغم أن مجدو يقع داخل الخط الأخضر إلا أنه رفض لوجود معتقلين فلسطينيين رهن الاعتقال دون محاكمة فى هذا السجن سيء السمعة . ومرة أخرى وجد نفسه يقضى ٢٨ يوما فى السجن . فماذا يقول هو عن نفسه ..



---

## ● الحلم الصهيونى :

يقول يوفال : لقد نشأ والدائ هنا وكانا من اليهود الأوائل الذين جاؤوا إلى هذه الأرض لتحقيق الحلم الصهيونى . قتل عمى فى أحد الحروب لذا فقد أصيبت أسرتى بإحباط شديد عندما رفضت الخدمة فى جيش الدفاع . حاولت إقناعهم بأن رفضى سيحول دون موت آخرين إلا أن ذلك لم يقنعهم . وفى الجلسات العائلية دائما ما أفضل أن أجلس صامتا على أن أدخل فى جدل مع الآخرين .. كان والدى مثالا للإنسانية .. كان منفتح العقل .. كان بحارا ويحب الشعر .. علمنى أن أنظر إلى كل شىء بعيون ناقدة . نشأت وأنا أشعر بثقة فى نفسى وأشعر بالأمن والأمان . هذه النشأة تفسر سبب تفاؤلى بأن كل شىء سيكون فى النهاية على ما يرام .

فى الثامنة عشرة التحقت بالجيش على اعتقاد أننى ذاهب لأحارب معركة البقاء .. بقائى أنا وأسررتى وبقاء الوطن . رغبت فى الالتحاق بوحدة مقاتلة فوجدت صعوبة فى ذلك ولكنى سلكت كل السبل كى التحق بها وبالفعل نجحت فى النهاية .. وكنت أؤدى الخدمة بكل حماس . وحتى اليوم فإننى أرى أن الدولة يجب ألا تتخلى عن قدرتها على الزدع . ولكنى أعتقد أنه يجب القيام بكل ما يمكن لتجنب استخدام هذه القوة . لا أزعم أنى شخص مسالم.. إننى مستعد للقتال من أجل وطنى . فكل شخص له حق الدفاع عن النفس . ولكنى لن أشارك فى اقتحام بيت أحد .

## ● كلنا نازيون :

وبعد أشهر من انتهاء مدة خدمتى الإلزامية بالجيش ذهبت فى

---

---

رحلة إلى جنوب إفريقيا وهناك بدأت أنظر إلى الأمور من زاوية مختلفة وقابلت أناسا آخرين .. قابلت أناسا من ألمانيا وتحدثنا عن الحرب العالمية الثانية والمحركة (الهولوكوست) .. أتذكر أن أحدهم تحدث عن النازيين قائلا "الجميع مثلهم .. نازيون" .. بعد ذلك أدركت أن كلمة "الجميع" تشملنا نحن أيضا !

وبعد عودتي من جنوب إفريقيا استدعوني مباشرة للخدمة في الاحتياط في حرب لبنان ولكني رفضت ولم يدخلوني السجن . وبعد عشرة أعوام في عام ١٩٩٢ رفضت مرة أخرى .. وفي هذه المرة أودعوني السجن . كنت أدرس يومها السينما في جامعة تل أبيب وأعمل سائق تاكسي . كان من المفترض أن أخدم في غزة.. حدث ذلك عندما كان حزب العمل في السلطة وكان إسحق رابين رئيسا للوزراء . وكان البعض يقول لي "كيف ترفض الخدمة في الوقت الذي يتحدثون فيه عن السلام" ؟ ولكني أدركت أن هذا القول رغم ما به من منطق إلا أنه لا يبرر الخدمة في الأراضي. نعم .. لقد سلمت إسرائيل غزة للفلسطينيين ولكن الاحتلال ظل قائما بكل صوره من إغلاق وقتل وتشريد وقمع للسكان المدنيين . لم أكن أرغب في أن أكون في وضع يسمح لي بإطلاق النار على صبي يلقي علينا حجرا . لم أكن أتصور نفسي وأنا في كامل عدتي وعتادي أشهر سلاحى في وجه أناس لإرغامهم على الصمت لأن ذلك يعنى ببساطة أنتى أسيطر عليهم بالقوة. كنت متفائلا بشدة تجاه عملية السلام .

### ● قطار الدم :

وقد يسألني أحد .. كيف كنت تشعر بالتفاؤل مع استمرار

---

الاحتلال وحصار مئات الآلاف من الفلسطينيين في غزة وحرمانهم من العمل في إسرائيل بما يعنى حرمانهم من مصدر رزقهم الوحيد . وأقول : كنت متفائلا بناء على معطيات عدة فها هو قطار القضية الفلسطينية يتحرك أخيرا نحو السلام بعد سنوات طويلة من الجدل العقيم . كنت أعتقد أنه سيواصل المسير ولكن للأسف كان لا يتحرك إلا بعد إراقة مزيد من الدماء والقتل والدمار .. وفي عام ١٩٩٧ رفضت الخدمة في الضفة الغربية وقال قائد الوحدة سوف نسجنك بسبب رفضك .. ولكن ضابط آخر اقترح إرسالى إلى مكان آخر وسألت ما هو ؟ فقال : داخل الخط الأخضر .. إنه سجن ميبدو ..

### ● سجن سيء السمعة :

كنت أعرف أن هذا السجن هو الذى يضم الفلسطينيين المعتقلين إداريا دون محاكمة ولا يسمح لهم باستقبال أى زيارات أو تلقى أى رسائل مكتوبة أو لاسلكية .. قلت لن أذهب إلى هذا السجن اللعين .. نظرت لى ضابطة الارتباط (١٩ عاما) وقالت فى دهشة وذهول "ماذا بك .. نحن دولة ديمقراطية .. وكل ما يجرى فى هذا السجن يتم بالقانون" !! ولم أجد أى جدوى من النقاش مع هذه الفتاة الغبية .. وذهبت إلى سجن ميبدو لأنى لم أكن أريد أن أتبع للجيش فرصة اعتبارى متغيب دون إذن . أعتقدت أن قائد الكتيبة فى ميبدو سوف يعرف عن تاريخى فى الرفض ويقوم هو بفصلى من الخدمة . ولكن القائد قال لى إن جميع المسجونين هنا إرهابيون أو مفجرون انتحاريون مفترضون ، وقال إنه سيساعدنى فى أن تكون خدمتى القيام بأعمال الدورية خارج

---

السجن بحيث لا تكون لى أى علاقة بالسجناء . أبلغت بأن سجن ميجدو هو جزء مكمل للاحتلال ولا يختلف أبدا كونه داخل الخط الأخضر أو خارجه . قلت له إنه ربما يكون هناك رماة حجارة مسجونين فى هذا السجن ولا داعى لاحتجازهم بدون محاكمة .. وقلت أيضا إن الأمر الأبعث هو أن هناك مسجونين كثيرين داخل هذا السجن محتجزون دون توجيه أى تهمة لهم أو تقديمهم لمحاكمة عادلة. وقلت أيضا إن السجنائين مجرمون ولكن ليسوا هم فقط بل النظام كله نظام مجرم وغير مقبول وأنا لن أشارك بأى حال فى هذه الجريمة . وسجنت ٢٨ يوما آخر.

### • رسالة من سجين :

وبعد أن خرج من الخدمة العسكرية فى يوليو عام ١٩٩٧ تلقى يوفال لوتيم خطابا من أحد سجناء سجن ميجدو بعنوان " خطاب للجندي المجهول " يقول " قرأت خبرا قصيرا فى صحيفة القدس نشر يوم ٨ يوليو ١٩٩٧ يقول : قضت محكمة عسكرية بسجن جندي إسرائيلى رفض تنفيذ أوامر الجيش وقال الخبر المكون من ثمانية أسطر إن العسكرى برتبة ليفتنانت وقد رفض قائلا " إننى أفضل أن أسجن عن أكون سجانا لسجين سياسى محتجز دون محاكمة " . فمن أنت أيها الضابط ؟! ما اسمك وأين تعيش وما عمرك .. هل لديك أطفال .. وما الكتب التى قرأتها .. ماذا قالوا لك فى المحكمة العسكرية وبماذا أجبت .. وكيف تقضى الآن أيامك فى السجن مثلنا وراء القضبان ؟! " وغير ذلك الكثير من الأسئلة التى تطرأ على ذهن أى سجين. التوقيع " عماد سابا " .



## ● حكاية عماد سابا :

وكان عماد سابا محتجزا منذ ١٢ ديسمبر عام ١٩٩٥ دون محاكمة ودون تحديد لفترة الاحتجاز التحفظي . لقد زعمت السلطات بأنه عضو نشط في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين .. ومن ثم فهو يشكل خطرا على الأمن الإقليمي . وفي مايو ١٩٩٧ وبينما كان عماد سابا مسجوناً دون محاكمة أصدرت منظمة بيتسليم الإسرائيلية لحقوق الإنسان تقريراً قالت فيه إن هناك ٢٤٩ فلسطينياً محتجزون إدارياً دون محاكمة في ظروف تشبه معسكرات الاعتقال. كان عماد سابا حتى اعتقاله مفكراً فلسطينياً ويعمل مديراً عاماً لمعهد بيسان للبحوث والتنمية في رام الله ومحاضراً في جامعة بيرزيت . وحصل عماد وهو في السجن على منحة دراسية بأحد المعاهد البحثية في لاهاي . فطلب من الجيش السماح له باستكمال دراسته فقبول طلبه بالرفض . ولكن في النهاية تم الإفراج عن عماد بموجب اتفاق مع محاميه يقضى بإبعاده إلى هولندا وهكذا خرج عماد سابا من السجن بعد كل هذه الأيام والشهور دون أن توجه له أي تهمة بارتكاب أي جريمة !!

ويقول يوفال : بعد أن قرأت رسالة عماد ومقالاً نشر عنه بالصحيفة قررت أن أقابله .. كانت الصحيفة قد نشرت له صورة وهو يحمل طفله الصغيرة دينا . كان لدى أيضاً طفلة في نفس السن . ولكنه حرم من رعاية ابنته طوال العامين اللذين قضاهما في السجن . كنت أود أن أعرف عماد أن هناك إسرائيليين ليسوا مثل الجنود الذين سجنوه وأن هناك من يريد للشعبين أن يعيشوا حياة كريمة . وبعد أن خرجت من السجن التقيت بعماد وكونا

---

صداقة مازالت قائمة حتى اليوم وانضم اليها فلسطينيون آخرون من ضحايا السجن دون محاكمة .

وعندما عاد عماد إلى غزة لم يعتقد فلسطينيون هناك أن إسرائيليا يمكن أن يفعل مثل هذا الشيء . ولكنى لم أر فى ذلك أى عمل بطولى . ولم أسأل عماد عن نشاطه فى الجبهة الشعبية لإيمانى العميق بأن من حقه القتال من أجل وطنه مثلما هو الحال بالنسبة لى .. عندما تلقيت خطاب عماد كان الشيء الذى فاجأنى هو " كيف لشخص تتهمه السلطات بأنه قاتل وإرهابى أن يكتب خطابا بهذا الشكل الإنسانى الرائع ؟ وعلى أى حال لم يقدم جيش الدفاع ضد عماد أى دليل على أى جريمة سواء ارتكبها أو حتى حاول ارتكابها . كان عماد معارضا لاتفاقات أوسلو وكتب مقالات بهذا الشأن .. وبعد يوم أو يومين من تسليم رام الله للسلطة الفلسطينية اعتقلت إسرائيل كل المعارضين لهذه الاتفاقات وأودعتهم رهن الحجز الإدارى دون محاكمة !

### • الحل فى ثلاث دول !

إننى لا أعرف الكثير عن فكر الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ولكنى سمعت أنها تؤيد دولة لكل مواطنيها بغض النظر عن العرق أو الدين وأن كنت أعتقد أن الوقت لم يحن لمثل هذه الأفكار التقدمية .. وبالنسبة لى أنا شخصا فإنى أفضل قيام دولتين لشعبيين متساويين فى كل الحقوق .. وغالبا ما كنت أمزح مع عماد وأقول إن الحل يكمن فى إقامة ثلاث دول ؛ واحدة للمسلمين وثانية لليهود أما الثالثة فتكون دولة طبيعية .

إننى أعلم أن رفضى لن يغير الكون ولكنى رفضت الخدمة فى

---

---

الأراضي المحتلة حتى أستطيع أن أنام بالليل مرتاح الضمير ،  
وحتى أستطيع أن أنظر بارتياح وباحترام إلى نفسى فى المرآة .  
ولكن بالنسبة لحركة الضباط الرافضين فإنى أرغب فى أن تكون  
أكثر نشاطا وأن ترسل رسالة واضحة تدعو الناس إلى الرفض  
ولا تطلب فقط مجرد الدعم . إنى أدرك أن مثل هذا التصرف قد  
يدفع النظام لاتخاذ الإجراءات القانونية ضدنا .. المشكلة أن حركة  
الرافضين تخشى من التقدم إلى الصفوف الأمامية ولكنها ستظل  
حركة مهمشة ما لم تسمع صوتها للجميع وتدفعهم للمقاومة .

### • كائنات غريبة :

ولكن دعنى أقول لك بعض المواقف التى دفعتنى دفعا للرفض..  
ذات يوم كنت فى غزة ورأيت مجموعة من الأطفال .. كانوا  
خائفين منى .. أخذوا جانبا والتصقوا بالجدار وأنا أمر أمامهم ..  
ابتسمت لواحد منهم .. وفوجئت بأنه لم يرد الابتسامة .. استغرق  
منى الأمر بعض الوقت كى أرى نفسى فى عينيه . وعندما زرت  
جنوب إفريقيا رأيت نفس النظرات فى عيون الأطفال هناك . وهنا  
بدأت أدرك سبب امتناع هذا الطفل عن الابتسام .. ولهذا فإنى  
أحاول تنشئة ابنتى على القيم الديمقراطية والنظرة الانتقادية أريد  
أن تدرك أنها تنتمى إلى أسرة أكبر .. من مجرد اعتناقها مفاهيم  
عنصرية . المنهج الإنسانى فى التعامل لا يمكن أن ينتقل إلى  
الأبناء بالكلمات . إذا كنت ذا ميول إنسانية، فإن طفلك سيتشرب  
منك ذلك أيضا . وإذا لم تكن كذلك، فإن كل الكلمات فى العالم لن  
تكفى لأن يكون طفلك إنسانا . إن طفلى تصادق أطفال أصدقائى  
الفلسطينيين ولكنى أريدها ألا تكره المستوطنين أيضا . أدرك أنهم

---

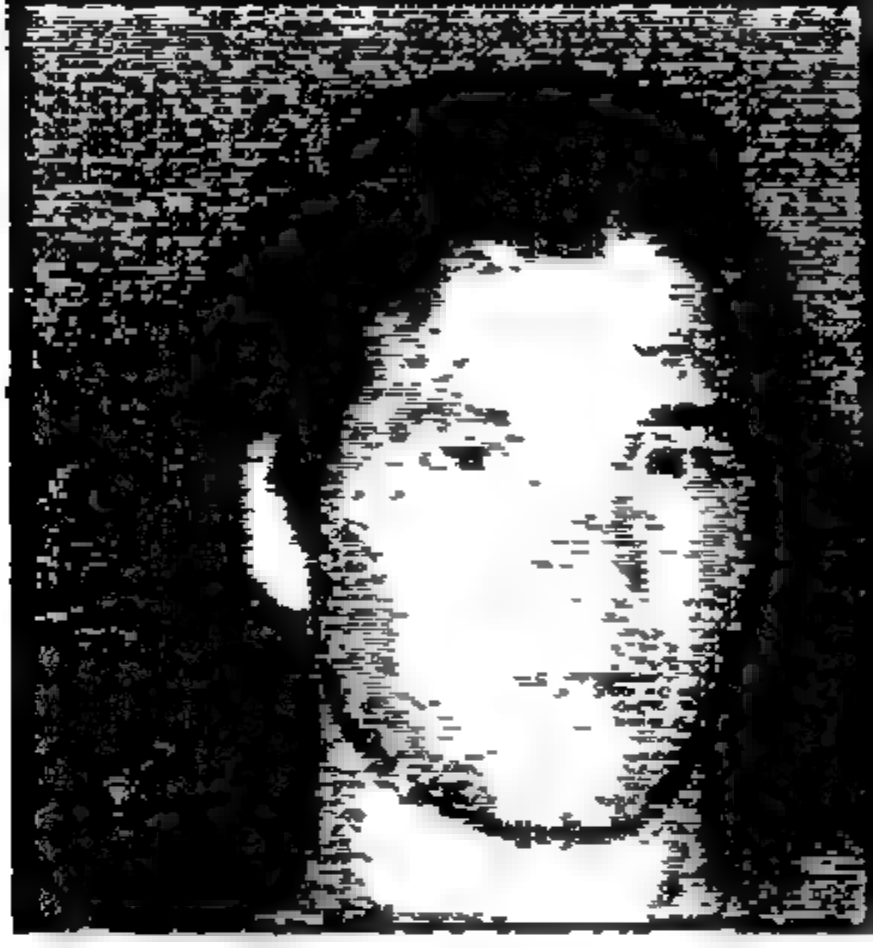
فى النهاية سيتم إجلأؤهم عن الأراضى المحتلة وأشعر بالأسى تجاههم . ألامهم حقيقية .. يجب ألا ننسى ذلك .

علينا أن نتمسك بتقاؤلنا .. صحيح من الصعب أن يشعر الفلسطينيون فى قلقيلية مثلاً بأى تقدم لأن الإسرائيلىين يحكمونهم ولكن لنتذكر .. قبل عشر سنوات كان الحديث عن الدولة الفلسطينية خيانة عظمى واليوم الجميع يتحدثون عنها . إننى أتحدث عن الدولة الفلسطينية مع الجميع من كل فئات المجتمع .. حتى مع مؤيدى الليكود . ونذكر جميعاً أن الصراع ليس مباراة كرة قدم يتحتم أن يكون فيها فائز وخاسر .. القضية أننا إما أن نكسب معا وإما أن نخسر معا . فى الطبيعة البقاء دائماً للأقوى ، ولكن الثقافة تضع المساواة كقيمة لها الأولوية .. يمكن للناس أن يقتنعوا بأن الأمر يستحق أن يعترف كل منا بالآخر كشعبين متساويين . ومع ذلك، فإن الطريق صعب وطويل فمنذ الصغر يتشرب الجميع فكرة الخوف من العرب والنظر إليهم بوصفهم كائنات غريبة لا يمكن الوثوق بهم . ولكن مع التجربة أدركت أنى قريب من أصدقاء فلسطينيين لى فى رام الله أكثر من قريى من أبناء بلدى من المستوطنين فى كريات أربع . أدرك أن موضوع الهولوكوست يغزى لدى اليهود مشاعر الخوف دائماً . والسؤال كيف يمكن أن تدفع الناس إلى التوقف عن التفكير بهذه الطريقة ؟ .. هذه قصة أخرى طويلة جداً !!





## الفصل السابع



### ضابط احتياط تال بيلو

- جيش الدفاع يرتكب جرائم حرب يومية ضد الفلسطينيين
- وزير الدفاع يقول: سنقتلهم واحدا واحدا ببطائرات أف ١٦
- الاحتلال يسمح لك بكل شيء من القتل حتى سرقة الأحذية
- لا سبيل أمامنا سوى التعايش مع العرب في سلام



---

دعوني أبدأ تجربتي مع جيش الدفاع بقصة قصيرة .. في تلك الليلة شربت قليلا . كنا نجلس في حفل شراب على شرف دانييل. لقد هاجر من فرنسا حتى يستطيع خدمة الوطن انطلاقا من عقيدته القوية بأرض الميعاد وأداء الخدمة العسكرية بالجيش ولكي يكون مع صديقه تالي التي تعمل في الشؤون الاجتماعية بجيش الدفاع . فتحنا زجاجة جوني والكر أعطاها شقيق تالي لها وكنا ندخن بعض الحشيش وأذانا مثبتة على الباب . لا يمكن أن تكون جندياً حقيقياً في جيش الدفاع دون أن تشرب جوني والكر . كنا عائدین لتونا من رحلة إلى لندن وفور عودتنا أرسلونا للخدمة في الأراضي .. وتحديدأ في غزة .. هل تعلم ماذا حدث لدانييل بعد سنوات .. انتحر ! ليس هناك مكان آخر مثل غزة في جمالها ببحرها شديد الزرقة وشاطئها الرائع إضافة إلى زيتونها الشهى . ودعني أقول لك إن زيتون غزة هو الأفضل من نوعه في العالم . هذا الزيتون لم ينج من أعمال التجريف والتخريب التي ينفذها جيش الدفاع باستمرار في أنحاء الأراضي الفلسطينية . أما بالنسبة عن شعوري وأنا أخدم في غزة فأقول إنني لم أكن قويا لأنني لم أشعر بأنني أقاتل من أجل بيتي وأولادي .. وإلا ما كان دانييل قد انتحر . عندما يقتنع جندي بما يفعله يستطيع القيام بأي شيء . وسيقول " إما هو أو أنا " . ولكن الوضع لم يكن كذلك في

---



---

الأراضى . لم يكن لدينا الحماس الذى كان لدى والدى على سبيل المثال وهو يحارب معركة الأيام الستة وحرب يوم كيبور . عرفت ذلك من خطابات ولكنى لا أستطيع أن أكتب مثلها .

### ● السير مع التيار:

بالنسبة لوالدى ووالدتى فقد كانا يحبان إطاعة الأوامر وكانا دائما يقولان " فكر فيما تريد ولكن أذهب مع التيار " . هكذا نشأت . لم أنشأ بإحساس أنى يهودى شرقى بل كانت هويتى أنى إسرائيلى . ورغم تاريخ والدى، فإنهما ربيانى على أن أكون إسرائيليا أولا وأخيرا . وعندما أقول إنى لم أشعر بأنى من السفرديم أقصد أننى كنت أتصرف مثل اليهود الغربيين (الاشكيناز) فعلى سبيل المثال كنت أعزف على البيانو وليس العود التى تعتبر آلة موسيقية شرقية صميمة . لقد ندمت على ذلك لأنى كنت عازما على تعليم أولادى التحدث بالعربية والعزف على العود . فهذا مهم لى فى حياتى السياسية . ومنذ طفولتى كانت لى ميل تجاه اليسار فقد التحقت بمنظمة شبابية صهيونية يسارية . ثم التحقت بالجيش وأثناء خدمتى الإلزامية كونت صداقات مع فلسطينيين من قلقيلية ورم الله وبيت جالا . وما زالت صداقاتى مستمرة معهم حتى اليوم . واليوم وفى ظل الأوضاع بالغة السوء فى الأراضى نتحدث عبر الهاتف طوال الوقت .

وعندما قررت رفض الخدمة فى الأراضى لم يكن والداى راضين عن قرارى . ولكن الجو العام فى منزلنا كان منفتحا .. نحن أربعة إخوة وأخوات كل واحد منا له الحرية التامة فى أن يفعل ما يشاء دون لوم أو توبيخ من الباقين . والذى لا تكره العرب . إنها تريد السلام ولا ترى أن العرب شياطين يتحينون

---

الفرصة لتدميرنا . كان موقفها مشابها لموقف اليهود الألمان الذين يرون أن الألمان ليسوا كلهم نازيون ويجب حظر اللغة الألمانية في البيت . لم تكن تهتم بتحقيق العدل بقدر اهتمامها بتحقيق السلام . وكان كل أفراد أسرتي يهودا متدينين.

وفي الحقيقة لم أشعر بأنى مرتاح تماما تجاه قرارى برفض الخدمة .. فكرت فى والدى الذى لم يرفض الخدمة من قبلى .. لم أكن أرغب فى أن أتصرف بما يناقض رغباته لأنه رجل حساس لم يؤذ أحدا عمدا أبدا . وفى المقابل لم أكن أشعر بالارتياح تجاه ما تعانيه أسر أصدقائى الذين يقتلون أثناء خدمتهم فى الأراضى وكنت خائفا من مواجهتهم . كما أننى لا أفضل اللهجة الحادة التى وردت فى خطاب حركة الضباط الراضين ، رغم أننى أدرك أن اسماع صوت هؤلاء الضباط يحتاج إلى نوع من التحرك السريع والصوت العالى . ولكنى أود أن تحل هذه الحركة نفسها بهدوء فور التوصل إلى تسوية دائمة للنزاع .

### ● الأرض المقدسة :

وهناك قضية المستوطنات وهى فى غاية التعقيد .. وأنا لا اتفق مع القائلين إننا نخوض حربا من أجل السلام فى المستوطنات .. فالمستوطنات لا بد أن يتم إخلاؤها ولكن علينا أن نتذكر إننا لسنا هناك فقط من أجل المستوطنات . لقد قال رئيس الأركان إننا هناك لأسباب أمنية . أما اليهود المتشددون، فإنهم يقولون إننا هناك لأنها أرض اليهود المقدسة . وكلا الزعمين دفعانى إلى رفض الخدمة لحراسة هذه المستوطنات . ولاشك أن إخلاء المستوطنات أمر مؤلم ولا بد أن يكون لدينا خطة مسبقة لاستيعاب سكان المستوطنات ولكن على المدى الطويل سيعيش هؤلاء المستوطنون حياة أفضل .

## • جرائم حرب :

إننى أشعر بغضاضة أيضا تجاه كثير من الجنود الذين يقولون إنهم من الراقضين ولكنهم يواصلون الخدمة فى الجيش . إنهم يقولون إننا نؤدى واجبنا ولا نرتكب جرائم حرب . ولكنك إذا كنت هناك فإنك سترتكب جرائم حرب .. سواء رضيت أم لم ترض . لا أستطيع أن أزعم بأنى من دعاة السلام وفى الحقيقة أنا أريد مواصلة الخدمة فى جيش الدفاع إذا تجنب ارتكاب جرائم الحرب ولكن ذلك مستحيل . والحقيقة أن الضباط والجنود لا يريدون إلحاق الأذى بالمدنيين عمدا .. ولكن عندما تكون هناك سيارة إسعاف فأنت لا تعلم أن كان بداخلها إرهابى أم امرأة حامل على وشك الوضع .

لقد أمضيت فترة الاحتياط طوال السنوات الثمانى الماضية . وفى آخر فترتين نجحت فى تجنب الخدمة فى الأراضى بالقيام بمهام أخرى . كما أننى بذلت كل ما أستطيع من جهد حتى لا أدخل السجن . وكان بإمكانى أن استمر فى تجنب الخدمة بالأراضى بتقديم إعفاءات طبية مزورة مثلا .. ولكنى قررت أن أرفض مرة واحدة ونهائيا . وإذا كان الأمر يتعلق فقط بمدى الضرر الذى يلحق بالعرب فربما لم أقرر الرفض ولكن الدافع الأساسى لقرارى هو أن هذا الواقع الحالى يلحق الضرر بى أنا أيضا . أنا لست سياسيا .. وعندما أقول إنى أرفض إطاعة الأوامر فإننى انطلق من تجربة شخصية بحتة . خلال السنوات القليلة الماضية شعرت بالخزى والعار تجاه ما يحدث . ولا يمكن إلا لمن يكون هناك أن يدرك ما أقصده . فكيف لك أن تشرح لنفسك كيف يعيش أناس على بعد مائة متر من هنا فى قاع الجحيم . لقد



---

سمعت أناسا يقولون " وماذا يمكن أن تفعل نحن .. لقد ألقى بهم قادتهم فى هذا الوضع .. إنها ليست مسؤوليتنا .. نحن شعب محب للسلام .. أعطيتناهم كل شىء .. لم يقبلوه .. قادتهم لا يريدون السلام .. لذا دعهم يذهبون إلى الجحيم " ! ولك أن تتصور أن هذه الأقوال على سخفها يرددها أكثر اليساريين ليبرالية .. وهو المناخ السائد هذه الايام .

### ● سنقتلهم واحدا واحدا :

سمعت وزير الدفاع يقول " سنقتلهم واحدا واحدا بطائرات أف ١٦ .. وإذا أحدثت الطائرة دمارا شاملا فإنه سيكون أمرا سيئا ولكن ماذا يمكن أن نفعل تجاه ذلك ؟ " . وعندما سمعت ذلك أقشعر بدنى من الخوف . لقد أصبحنا أشرارا . إذا كان قادتنا قد فعلوا ما يجب من أجل حماية جنودنا من الموت ولم تقصف الطائرات المدن الفلسطينية ولم يبق للفلسطينيين أى عذر لتفجير أنفسهم فى مدنتنا، فإننى ما كنت رفضت الاستمرار فى الخدمة . وبالنسبة للمواقف التى دفعتنى إلى الرفض فإنى أتذكر تجمعا ضخما أثناء الانتفاضة الأولى (تجدر الإشارة إلى أن الانتفاضة الأولى لم تكن مسلحة وخاصة فى مراحلها الأولى) . كان آلاف من أنصار حماس وفتح ينظمون مسيرة حاملين أغصان الزيتون ونحن ننظر إليهم من داخل عربة جيب .. بدا الأمر وكأنه فيلم سينمائى حتى مر آخر واحد من المتظاهرين وقال " إذا لم تعطونا السلام فإننا سنعرف كيف نتعامل معكم . " كان الأمر يبدو وكأنه مباراة بين جانبين " فريق الطيبين الأخيار " وفريق الأشرار الذين يرشقونا بالحجارة .. ولكنى أتذكر كيف تصرفت مع رجل يبلغ من العمر ٤٠ عاما عندما أمرته بأن يتسلق عامود إنارة لإزالة علم



---

لمنظمة التحرير الفلسطينية . أتذكر كيف احتجزته ثم هددته بالبندقية أن يتسلق عامود الإنارة وفي المرة الثالثة نجح وأسقط العلم الفلسطيني .. إننى واثق أن هذا الرجل أن كان معه أولاد حالياً فلا شك أنهم انتحاريون .. أو على الأقل هناك احتمال أن يكونوا كذلك . إننا لم نفعل ذلك مع هذا الرجل فقط بل هو روتين يومية للجنود فى الانتفاضة الأولى . كانت منظمة التحرير عدوا ولم تكن شريكا فى الحوار .

### ● مهام قافهة جدا :

إنه ضرب من الجنون .. فكر فى هذه المهام .. إنها مجرد إنزال علم وليس تطبيقا للقاعدة التى تقول " الشخص الذى يتقدم نحوك ليقتلك بادر بقتله " .. كان هذا هو العمل الروتينى لنا .. يرفع الفلسطينيون أعلامهم ثم نحتجزهم ونجبرهم على إزالتها . يصعب على الآن أن أتذكر إلى أى مدى كنت أعمى آنذاك . سأشعر بالإحباط الشديد إذا فعل أطفالى اليوم ما كنت أفعله فى تلك الأيام . الناس هنا لا يفهمون ماذا يعنى تجريف بستانك أمام عينيك .. أو احتجازك بدون محاكمة .. أو أن يقولون لك " إننا سنقتلك لأننا قررنا أنك خطر على الأمن " .. حتى إذا كنت الشخص غير المقصود وأن ذلك مجرد تشابه أسماء !! ثم ماذا يقولون بعد أن يفعلوا كل ما يفعلونه .. كل ما يقولونه " آسفون .. يحدث ذلك أحيانا !

### ● مذبحه جولدشتاين :

هناك مثل صينى يقول " هؤلاء الذين يأكلون .. لا يفهمون مشاعر الجوعى " .. والإسرائيليون مقتنعون بأن الفلسطينيين

---

---

مبرمجون على كراهيتهم .. ولكن الأمر ليس بهذه البساطة .. فهو أكثر تعقيدا وإن كان السبب الرئيسى لما يفعله الفلسطينيون من تفجيرات انتحارية هو أننا دفعناهم إلى وضع مأساوى بائس شعروا فيه بأنه ليس لديهم ما يخسرونه. ومع ذلك فإن الإسرائيليين مقتنعون بأن العرب يكرهونهم .. وأن هذا التشويه المتعمد يخدم أهداف الجيش والسياسيين سواء كانوا من الليكود أو العمل.

وبعد المذبحة المروعة التى ارتكبها باروخ جولدشتاين ضد مصليين وقتل ٢٩ منهم وهم سجدوا رأيت الدماء والجثث التى تناثرت فى هذا المكان الرائع المقدس وما زال صوت أبواق سيارات الإسعاف يدوى فى أذنى حتى اليوم .. لا أستطيع أن أصف لك ما حدث . كان ذلك عشية عيد بوريم ( أحد الأعياد اليهودية ) . فى اليوم التالى وصلت إلى مقر الكتيبة وكان الجميع سواء من اليسار أو اليمين كانوا مصدومين . وقفنا أمام جهاز تليفزيون فى الكتيبة نستمع إلى أحد مقدمى البرامج وهو يقول "أولا وقبل كل شىء نتمنى لشعب إسرائيل عيدا سعيدا " ! لقد سمعته ثم فكرت وقلت لنفسى .. ألم يفهم أنه ليس عيدا سعيدا لأن مأساة وقعت وهى ليست مأساة للعرب فقط .. بل لكل من شاهد هذه المأساة المروعة .

### ● إنهم يسرقون الأحذية !

سأحكى لكم موقفا مؤلما آخر .. كان لى صديق يخدم فى وحدة دوفديفان (كتائب الإعدام) واتصل بى ليخبرنى كيف قام مع رفاقه بتفتيش منزل فلسطينى. ووجد حذاء على مقاس قدمه فأخذه .. وفى الواقع يحدث ذلك كثيرا فى وحدته .. وعندما عاد

---

إلى المنزل وأخبر والدته قالت " كيف تلبس حذاء عربيا على أرض إسرائيل "؟! .. لقد انزعجت الأم لأن الحذاء يخص شخصا عربيا.. ولم تقل له " لماذا سرقت الحذاء .. لا بد أن تعيده لصاحبه "!! إننى أعرف هذا الشاب جيدا فلم يسرق أبدا طوال حياته ولكن الاحتلال يعطيه رخصة لأن يفعل أى شىء حتى سرقة الأحذية . فأنت تسمح لنفسك بضرب العرب .. وأنا فعلت ذلك أيضا .. لا تدرك إنك تتحلل داخليا وأنت تقوم بمثل هذه الأعمال التى تصل إلى حد سرقة حذاء أو كاميرا لا تدري ماذا ستفعل بها .

وتبقى مشكلة رئيسية .. إنها تتعلق بالمفاهيم الدينية التى يعتنقها كثير من اليهود وخاصة المستوطنين .. فهم يؤمنون بأن الرب منح هذه الأرض لهم فقط دون غيرهم .. وعلى الجانب الآخر فإن المسلمين يعتقدون العكس تماما .. ولكن فى الواقع ، ليست هناك حقيقة مطلقة فى هذا الأمر .. فمن يروى الحكاية هو الذى يحدد الحقيقة ولا شك أنه يضعها فى صفه . ولكن بالنسبة لى فإن غزة التى خدمت بها كثيرا أراها أجمل مكان فى العالم .. إنها ساحرة .. فعندما تنظر إلى العالم من خلال أشجار الزيتون وزرقة مياه البحر، فإن كل ما تتمناه هو أن نعيش وتدع الآخرين يعيشون فى سلام . إننى لا أريد أكثر من حقى فى الحياة أن أكل وأشرب وأرقص وأقرأ .. أعتقد أننا فى حاجة للتعايش مع العرب.. ولكن ليس على طريقة اتفاقات أوسلو .. فهذه الاتفاقات كانت تفترض تقسيم الأرض وأن نعيش بجوارهم ولكن لا يرى أحد منا الآخر .. هم هناك فى دولتهم ونحن هنا فى دولتنا .. وقد يرى البعض أن ذلك حلاً مثاليا ولكنى أراه بلا معنى . حلمنا أن نعيش فى هذه المنطقة وإذا لم نتعلم كيف نتعايش مع العرب، فإننا لن

---

---

نستطيع العيش هناك . سنظل نعيش فى خوف دائم . نعيش وسط دول عربية لديها لغتها وثقافتها وموسيقاها وتقاليدها المميزة .. إننا لا نعيش فى أوروبا أو أمريكا.. خوفنا من العرب هو خوفنا من الآخر .. فكرة أنهم يريدون أن يدمرونا فكرة مضللة .. ليس هناك شر مطلق وحتى لو كان، فإن ذلك لا ينطبق على العرب وحدهم .

### ● كلهم ضحايا :

ولكنى بالطبع لن أهاجر من هنا ، إذا ظلت الدولة الإسرائيلية تعرف نفسها على أنها دولة يهودية وليست دولة لكل من يعيش على أرضها ، وإن كان ذلك أمر غير واقعى فى عالم اليوم . إننى انظر إلى الناس كطبيب ليس فقط عندما يكونون مصابين .. إنها مهنتى ؛ العناية بالناس وأن أفعل ذلك وأنا أتعاطف معهم .. القيام بمهمة الطبيب دون تعاطف مع المريض أمر خطير للغاية .. ليس من الصعب عليك أن تتعاطف مع مصاب سواء كان هذا المصاب جنديا زميلا لك أو فلسطينيا .. ولكن متى يكون ذلك أمرا صعبا؟.. عندما تقسم العالم إلى قسمين وتقول أنا أحب هذا وأكره ذاك .. ولكن فى الحقيقة كلا الجانبين ضحايا وأنا لا أريد أن أقول أيهما يعانى أكثر من الآخر .





## الفصل الثامن



### السيرجنت ايشاي روزن زيفي

- المسيح لن يعود.. وحكاية شعب الله المختار عفا عليها الزمن !
- الحق المطلق في هذه الأرض أسطورة.. والله خلقهم كما خلقنا
- قادة جيش الدفاع ساديون يمارسون التخريب والتدمير بنشوة غريبة
- نحن نغذي الإرهاب ونفرض الانتحاريين ثم نحمل عرقا المسؤولية
- لا يمكن أن نقارن إذلال الفلسطينيين عند نقاط التفتيش بالإتيكيت !
- الحديث عن السلام واستمرار بناء المستوطنات نصب واحتيال



---

ايشاي روزن زيفى ( ٣٠ عاما ) أب لثلاثة أبناء .. نشأ فى تل أبيب والآن يعيش فى جيقات شمويل القريبة من تل أبيب . يعد ايشاي حاليا لدرجة الدكتوراه فى التاريخ والدراسات الدينية فى معهد كوهين للتاريخ والفلسفة والعلوم بجامعة تل أبيب . كما يعمل باحثا فى معهد هارتمان بالقدس الذى أصبح مركزا فكريا لبحث الأفكار السياسية المثيرة للجدل فى إسرائيل خلال العقد الماضى إلى جانب معهد فان لير .

وكان البروفيسور اربيل روزن زيفى والد ايشاي أستاذا فى مدرسة القانون بجامعة تل أبيب وممثلا بارزا للحركة الصهيونية ذات الميول اليسارية. وبوصفه ناشطا فى حركة نيتيفوت شالوم وهى حركة يسارية دينية كافح البروفيسور روزن زيفى ضد المؤسسة الدينية وتحدث كثيرا عن الممارسات الظالمة للاحتلال فى وقت لم يكن مقبولا فيه أبدا الحديث عن مثل هذه الأمور. عمل ايشاي فى غزة أوائل التسعينات فى الأيام الأولى للانتفاضة وقبل توقيع اتفاقات أوسلو . كان مجندا فى ذلك الوقت بنظام التجنيد الإلزامى ، ومنذ ذلك الحين تولى لديه الشعور الذى أيقظ ضميره ودفعه فى نهاية الأمر إلى رفض الخدمة فى الجيش . ورغم أن كثيرا من مواطنى غزة مازالوا يعملون فى إسرائيل ، فإن وضع



---

غالبية الفلسطينيين ازداد سوءا بعد توقيع اتفاقات السلام . ويرجع ذلك إلى أنه بينما حل الحكم الفلسطيني مكان الحكم الإسرائيلي المباشر إلا أن الانسحاب الإسرائيلي من القطاع كان صوريا . فقد منع الفلسطينيون من العمل في إسرائيل والانتقال إلى الضفة الغربية . ومنذ توقيع اتفاقات السلام تم إحلال العمالة الفلسطينية بعمال أجانب .

### • الهدف إنهاء الاحتلال :

خدم ايشاي في وحدة لقوات المدرعات . وعلى مدى عشر سنوات كاملة كان ايشاي يخدم في الأراضي المحتلة ويشهد بعينه آثار الاحتلال . وحتى رغم أنه لم يكن غافلا عما يحدث أمامه إلا أن الأمر تطلب منه وقتا حتى يعلن رفضه إطاعة الأوامر . ومنذ عام رفض ايشاي تنفيذ الأوامر عندما استدعى لقضاء فترة الاحتياط في الأراضي المحتلة ، الأمر الذي كلفه قضاء أسبوعين في السجن العسكري . وعندما أعلنت حركة الضباط الرفضين للخدمة في الأراضي الفلسطينية المحتلة انضم إليها ايشاي ووقع وثيقة الرفض وأصبح عضوا نشطا فيها منذ ذلك الحين وحتى اليوم.

ورغم ما يبدو على وجه ايشاي من ملامح طفولية إلا أن بريق عينيه ينبئ عن تناقض واضح مع ما يعتمل في نفسه من أفكار تقدمية يغمرها حماس جارف وهو ما يظهر واضحا في كلامه . فمن ناحية يعتمد كلامه على تحليل عقلاني رزين للواقع ومن ناحية أخرى تعلو نبرة صوته مدفوعة بسيل جارف من الحماس لما يؤمن به من أفكار . هذا التناقض المثير يعكس نشأته في حركة

---

بنائى اكيفا وهى منظمة صهيونية قومية دينية للشباب .. وإن كان  
ايشاى يفضل عدم الحديث عن نفسه وعن أفكاره بقدر ما يميل  
إلى الحديث عن الواقع وتحليل ما يراه من أحداث. يضع ايشاى  
على رأس قائمة اهتماماته إنهاء الاحتلال دون النظر الى ما وراء  
هذا الهدف من تداعيات على الأقل فى الوقت الحاضر . ويظهر  
قلق ايشاى على مجتمعه فيما يعترى صوته من توتر ظاهر ..  
فمعظم طاقاته الذهنية والعاطفية موجهة إلى أبناء شعبه . ورغم  
أن معاناة الفلسطينيين تروعه إلا أن قلقه على مواطنيه من  
الإسرائيليين كان يفوق إحساسه بالألم تجاه الفلسطينيين . ولذلك  
فإن قراره بالرفض تبع أولا وقبل كل شئ من شعوره  
بالمسؤولية تجاه شعبه.

وعلى عكس غالبية الرافضين ينتمى ايشاى الى حركة  
صهيونية دينية يرتدى أتباعها غطاء الرأس اليهودى المعروف  
باليرموكه . كما أن غالبية أتباع هذه الحركة من المستوطنين ..  
ولكن ايشاى ينتمى الى معسكر صغير داخل هذا المعسكر الأكبر  
الذى يعرف بالمستوطنين المتدينين . ويعيش كثير من أقاربه فى  
المستوطنات .. زوجته التى تدرس الدكتوراه فى الفيزياء ابنة أخ  
عضو فى خلية يهودية إرهابية متطرفة فيما يسمى بالحركة  
السرية اليهودية . وعمه شارك فى مؤامرة لتفجير المسجد  
الأقصى والحرم القدسى بكل ما فيه من مقدسات وحرص على  
قتل الطلاب فى الكلية الإسلامية فى الخليل . كما عاش ايشاى  
نفسه فى مستوطنة لفترة كطالب . ولكن ايشاى اتخذ لنفسه خطا  
فكريا مغايرا تماما لكل ما تعلمه فى المستوطنة وفى الحركة

---

الصهيونية الدينية وهو ما جر عليه نقمة كل مدرسيه وحاخاماته وأصدقائه .

كانت هذه هى تفاصيل الظروف التى أحاطت بنشأة السيرجنت ايشاي روزن زيفى .. ورغم الاستغراق فى عرضها إلا أن ذلك كان ضروريا لإظهار قمة التناقض بين يهودى نشأ فى بيئة تمثل قمة التطرف الدينى والقومى بل وينتمى إلى الحركة الصهيونية ذاتها ومجتمع المستوطنين بكل تطرفه ويلبس اليرموكه إلا أنه اختار الاستجابة لصوت العقل وصيحة الضمير لبشاعة ما رآه بأم عينيه من فظاعات ضد الفلسطينيين فى الأراضى المحتلة على أيدى جيش الدفاع ورفاقه من المستوطنين .. وها هو يقدم شهادته بالكامل .. ويقول :

### • إتيكيت الإذلال :

فى غزة شاهدت أناسا يعيشون فى فقر مخجل . كنت لا أطيق متابعة أوضاعهم . عند نقاط التفتيش ينظرون إليك فى خوف . كانوا ينتظرون ساعات حتى نسمح لهم بالمرور للعمل فى إسرائيل. وكان مرورهم يتوقف على مزاج الجندى الواقف عند الحاجز فى هذا اليوم . إنهم ينظرون إليك بعيون ملؤها الخوف المغموس فى ماء الذل والهوان. بعضهم كان فى سن أجدادى لا أدرى ماذا كنت سأفعل إذا شهدت والدى فى وضع كهذا . ولن أنسى عيون الأطفال وهى ترى الآباء والأمهات يتعرضون لشتى صنوف الإذلال والامتهان أمامهم عند نقاط التفتيش والحواجز الأمنية . لقد أدركت تدريجيا أن مهمتى هى ضمان أن يبقى الفلسطينيون على هذا النحو إلى الأبد . حاولت بقدر الإمكان أن

---

أكون إنسانا فى تعاملى معهم ولكن المسألة لم تكن قضية اتيكيت.. فمهما حاولت أن تكون إنسانا فإن ما تقوم به - بغض النظر عن الطريقة التى تتعامل بها - له هدف واحد هو حرمان هؤلاء الناس من حريتهم . بدأت أشعر بعدم الارتياح تجاه ذلك ، ثم تحول هذا الشعور إلى إحساس بالفصام (الشيزوفرينيا) وعندما كنت أذهب من تل أبيب إلى غزة كان الشعور الذى يسيطر على ذهنى هو ذلك الدور الذى يمثله هايد و د. جيكل . ولكنى لن أتحدث عن هذا الأمر لأنى لا أستطيع .

### ● قادة ساديون :

لن أستطيع تقديم نماذج عما كان يحدث لأنهم كانوا يعمدون إلى طمس المعايير .. بمعنى آخر إذا حاولت ان تكشف عن حادثة بعينها ، فإنها تقدم على أنها استثناء للقاعدة . وهذا بالضبط ما لم أكن مستعدا للقيام به . أريد أن أناقش المعيار أو السبب الذى يدفع الآخرين إلى حرمان شعب من حقوقه . هناك فى الجيش قادة كثيرون يمكن أن تطلق عليهم ساديين أنهم يستعذبون صراخ الضحايا ويشعرون بنشوة غامرة وهم ينفذون أوامر اقتلاع أشجار الزيتون وتدمير بساتين الكروم أمام أعين أصحابها التى تحجرت بها دموع التوسل . بل إن مثل هؤلاء القادة الساديين لا يكتفون بتدمير البستان المقصود ولكنهم يدمرون البستان المجاور خشية أن تصدر المحكمة العليا غدا أمرا بمنع تدمير بساتين الكروم !! ولكن القضية ليست فى هؤلاء القادة الساديين بل فى القادة اليساريين الذين ينفذون أوامر الهدم والتجريف والتدمير دون إحساس بالنشوة ولكن دون أسى أو ندم أيضا .



---

أنهم يفعلون ذلك لأنهم حسب ظنهم ينفذون الأوامر وهم بذلك مضطرون للقيام بذلك حتى لو لم يكونوا راغبين فيه .. لأن أحدا غيرهم سوف يفعلها أن رفضوا هم القيام بالمهمة . كما أن القضية الأساسية هي هؤلاء الفلسطينيين الذين يعيشون مثل الكلاب دون ممارسة حقوقهم الأساسية على مدى عقدين من الزمن . اليوم حان وقت الكشف عما يحدث هناك وبالتفصيل بقدر الإمكان .. لماذا؟! لأن رفض الخدمة في جيش الاحتلال اليوم بات أمرا ملحا أكثر من أى وقت مضى .

### • حكاية الإرهاب :

قد يقول البعض " لا تخبرنى عما يحدث هناك ولا تقل لى كم فلسطينى يموت جوعا فى الوقت الذى نعانى فيه التفجيرات الانتحارية هنا " ولكن هذا التفكير لا يتسم بالبراءة . فالبعض يريد أن نعتقد أن تجويع الفلسطينيين لا علاقة له بما نحن فيه . على العكس أنا أرى أن الوطنية الحقيقية تتجسد فى رفض الاحتلال . ولابد أن يعرف الإسرائيليون كل شئ عما يجرى فى الأراضى المحتلة .. ولكن السؤال هو : ماذا يعرف الإسرائيليون عما يجرى هناك وما هو الشئ الذى يرغبون فى معرفته وما هو الشئ المسموح لهم بمعرفته ؟ الأمر يتعلق بعدم الرغبة فى معرفة الطرف الآخر وعدم معرفة ما يعرقل قدرتنا على احتواء الإرهاب والدوافع التى تحركه . لا يمكنك شن حرب على الإرهاب دون أن تعرف كيف يعمل هذا الإرهاب . ومن ثم ، فإن الظلم المروع الذى نلحقه بالفلسطينيين ليل نهار عنصر أساسى فى فهم ما يحدث .. بل هو أمر ملح خاصة عندما يطغى ضجيج الحديث عن الأمن

---

---

القومى ويخرس ألسنة كل المنتقدين وكل المناقشات النقدية لما يحدث . هذا الحديث عن الأمن القومى يبرر كل الأفعال والجرائم التى ترتكب بكل بشاعاتها التى تفوق التصور . ومع هذه الجرائم اليومية أصبحت حياة الفلسطينيين لا تساوى شيئاً .. وبعد انتهاء كل يوم يتم تبرير كل ما حدث باسم الأمن ويدرك كل جندى أن ما يجعل كل هذه الفظائع ممكنة هو أنهم " مجرد عرب " !

لم يحدث أن أزيل منزل مستوطن واحد " لأسباب أمنية " ولم تقتلع شجرة واحدة لمستوطن باسم الأمن . ولكن عندما تهدم صفا وراء صف من منازل الفلسطينيين وتقتلع أشجار آلاف من أفدنة الزيتون وبساتين الكروم المملوكة للفلسطينيين لمجرد أنها تحجب الهواء النقى عن المستوطنين فهى ليست مشكلة .. فهل هذا عدل ؟!

### ● سياسات مدمرة :

ومنذ أن قام الجيش بإعادة احتلال المدن الفلسطينية فى مارس ٢٠٠٢ شهدت الساحة الإعلامية طفرة فى الحملات المؤيدة للدولة أكثر من أى وقت مضى .. كان الهدف واضحاً وهو أن شن حملة دعائية منظمة أمر فى غاية الأهمية لتبرير حرب مجنونة لا هدف لها . وهنا تتجلى براعة رئيس الوزراء ارييل شارون الذى أدرك أن الضجيج الإعلامى هو خير وسيلة لإسكات أصوات المعارضين والمنتقدين لسياساته المدمرة . ومن ثم ، فإن واجبنا هنا كرافضين هو فضح هذا التلاعب . كان دخول المدن الفلسطينية من جديد يستهدف تحييد الإسرائيليين وشل قدرتهم على التفكير فى البدائل . وغلبت نغمة الانتقام على لهجة الخطاب الإعلامى

---

وأصبحت العبارات المستخدمة هي من نوع "كان لا بد أن نفعل شيئاً" .. "سنريهم مَنْ هو السيد" .. "سوف يضعهم جيش الدفاع فى مكانهم" .. هذا هو منطق الثأر وفكر الانتقام . ولكن جيش الدفاع لم يكن قادراً على أن يريهم أى شىء . فقد كان الجيش قادراً على التخريب والتدمير والهدم ولكن فى النهاية ما هى النتيجة ؟ ببساطة يمكنك هزيمة جيش ولكن كيف تهزم شعباً ؟! وكيف تجبرهم على الرضوخ لكل صنوف العذاب والهوان والقمع تحت ظل الاحتلال دون المطالبة بحقوقهم الأساسية ؟!

### • إنهم يكرهوننا :

وعندما نتحدث عن المظالم التى ترتكب فى الأراضى المحتلة فإن الناس يسألوننا "أين تعيشون .. ألا ترون التفجيرات الانتحارية كل يوم .. مَنْ يهتم بالمجندات الواقفات عند الحواجز الأمنية ؟! " ودعنا نناقش الأمر بهدوء .. بالنسبة للتفجيرات الانتحارية ، فإنها لم تأت من فراغ . إنهم يكرهوننا وأنا لا أرى أى مفاجأة فى ذلك . بل نحن نستحقه . حالياً زادت التفجيرات الانتحارية بشكل ملحوظ . قبل سنوات قليلة كان أقل من ٢٠ فى المائة من الفلسطينيين يؤيدون التفجيرات الانتحارية. أما اليوم فمن الصعب أن تجد أى شخص يمكن أن ينتقدها . والسؤال ماذا حدث ؟ هل تغيرت " عقلية العرب " ؟! وهل وقع الجميع فجأة فى غرام التطرف الإسلامى ؟ أن بنيامين نتنياهو ورفاقه يريدون منا أن نرى الإرهاب وكأنه قدر نزل علينا من جانب الإسلام وكأنه شىء أطلقته علينا قوى دينية خفية . إنهم يبعدوننا عن فهم البعد

---

الاجتماعى لهذه الظاهرة ودورنا نحن فى تطويرها . ولكن لا بد من التأكيد بوضوح على أن سياسات الحكومة الإسرائيلية تمثل تربة خصبة لنمو المفجرين الانتحاريين . باختصار نحن ننتج الإرهاب . والسؤال الذى يطرح نفسه هو : مَنْ ذا الذى يمتلك عقلاً سليماً ويعتقد أن مزيداً من الدمار والقتل وامتهان كرامة البشر يمكن أن تساعد فى كبح الإرهاب ؟!

إن اليمين المتطرف يتحدث عن الحل العسكرى الشامل .. ویمعنى آخر أن الطريق الوحيد لهزيمة شعب محتل هو تدميره أو طرده . بالنسبة لهؤلاء المعادلة فى غاية البساطة .. وهى ما دمنا هنا ، فإن ملايين الناس يتعين عليهم أن يعيشوا دون حقوق . ونحن الرافضون نحذر ونقول إن أى حل عنيف لن يكون حلاً . فالقوة تولد العنف والعنف يقود إلى قوة والقوة تولد عنفاً أشد .. وهكذا . إنها ليست حرباً من أجل وطننا . إنها حرب استعمارية للإبقاء على الاحتلال . ولذلك ، فإن هذه الحرب محكوم عليها بالفشل .. لقد رأينا هذا السيناريو فى أماكن أخرى فى الجزائر وجنوب إفريقيا مثلاً وفى أماكن أخرى.

### ● تشابه صارخ :

لقد قابلت أحد البيض فى جنوب إفريقيا الذى كان من أوائل مَنْ رفضوا الخدمة فى الجيش أثناء نظام الفصل العنصرى هناك . ولا بد أن نذكر أن عقوبة الرفض هناك كانت السجن سبع سنوات وهى فترة طويلة نسبياً مقارنة بالعقوبة المطبقة عندنا وهى ٢٨ يوماً .. أما التحريض فكانت عقوبته الإعدام . ولكن هذا الرجل الأبيض أمضى عامين فى السجن فى أوائل الثمانينات حتى حصل



---

على عفو وأفرج عنه . لقد حكى لنا قصته مع نظام الفصل العنصرى وكان التشابه بين ما حدث هناك وما يحدث عندنا فى إسرائيل صارخا الى حد الصدمة . فقد كان الرفض هناك أيضا أمرا مرفوضا من جانب المجتمع على نطاق واسع .. وكانت التعبيرات المستخدمة هناك أيضا تقول " لا بد من قمع الإرهاب " .. "إذا أعطيناهم دولة (أى السود) سوف يلقوا بنا فى البحر" !! ولكن هذا الرجل وعدد من رفاقه رفض الخدمة فى الجيش لأنه لم يكن راغبا فى التواطؤ مع نظام الفصل العنصرى فى بلاده . لقد كانوا يدركون أنها حرب خاسرة ولا يمكن أن تستمر إلى ما لا نهاية .. والأهم من ذلك أنهم كانوا يعتبرونها أمر محرّم . فهل هؤلاء البيض الذين رفضوا الخدمة فى جيش الفصل العنصرى ساهموا فى إضعاف قوة مجتمعهم ؟! لا يساورنى أى شك فى أنهم أنقذوا بلدهم .. إن أفضل سبيل لخدمة مجتمعك هو ألا تساهم فيما يرتكب من مظالم .

وبالنسبة لى أنا كان السؤال الأكثر أهمية هو : ماذا يأكل الفلسطينيون ؟ الآن هم يعيشون تحت الحصار وممنوعون من العمل لأكثر من عام ونصف العام ؟! لا يمكنك أن تبني روحا وطنية على الظلم . ولن ترتفع روحنا الوطنية إلا بعد الانسحاب من الأراضي . أما الحديث عن الشاعر الوطنية ، فلن يكون سوى محاولة لتجريم أى صوت منشق عن الصف تماما مثلما نستخدم معاداة السامية وسيلة لتجريم أى انتقاد للحكومة . إن الشرط الوحيد لحل هذا النزاع هو إنهاء الاحتلال . ولكن هل نحن فقط مسؤولون عن هذا الوضع ؟ بالطبع لا . ولكن ليس هناك تطابق

---

---

بين المحتل والخاضع للاحتلال . التبعة تقع على المحتل لأخذ زمام المبادرة ودفع مسيرة التفاوض وتقديم أكبر التنازلات.

### ● عرفات هو السبب ١٩

إن التركيز على أن عرفات هو السبب في كل الكوارث التي حلت بالفلسطينيين يمثل خطيئة كبرى لوسائل الإعلام . فمثل هذا الأمر يلقي باللوم كله على الرئيس ويبرىء المحتل . ويظهر الحرب وكأنها صراع قوة بين إسرائيل وعرفات ولكن كيف يرى طفل في قلقيلية تلك الحرب التي يشنها جيش الدفاع ؟ فبعد أشهر من الحصار والتجويع يرى الطفل أشقائه من سن ١٤ عاما فأكثر يعتقلون في عمليات مدهامة يومية ويرى أيضا بيته يقصف بالقنابل من أجل أن يتمكن جنود جيش الدفاع من تفتيش منزل مجاور .. وهنا تجد وسائل الإعلام ضالتها في تغطية أنباء "العمليات العسكرية" وتسهب في إذاعة البيانات التي يلقيها الانتحاريون قبل تنفيذ عملياتهم .. كل ذلك من أجل تصوير الأمر وكأنه حرب متكافئة بين جيشين !!

وبعد أن رفضت الخدمة انقلب على كل الحاخامات والمدرسين الذين أتعلم على أيديهم وقالوا لي أنت بذلك تريق دم آخرين . وأقر بأن هذا الأمر كان صعبا بالنسبة لي ولكن أريد أن أسأل كل هؤلاء المعلمين ورجال الدين أصحاب الفضيلة والأخلاق .. "متى شعرت آخر مرة بأنك جوعان؟ متى وقفت تحت أشعة الشمس الحارقة عند نقطة تفتيش في انتظار السماح لك بالعبور ؟ متى قام جيش أجنبي بغزو منزلك واقتحام غرفة نومك وحبسك مع أطفالك في ركن من المنزل لحين انتهاء تفتيشه ؟ وهكذا في كل

---

مرة أتعرض فيها لسيل من الانتقادات ، فإننى أستحضر أمامى كل تلك الصور المروعة التى رأيتها بعينى على مدى سنوات . إن هناك عشرات الآلاف من البشر المحاصرين فى القرى والعاجزين عن الحصول ليس على الزيت بل على الخبز ولا تتحدث عن مياه الشرب . هؤلاء المحاصرون ليسوا أعضاء لا فى كتائب شهداء الأقصى ولا فى كتائب عز الدين القسام .. إنهم شعب يتضورون جوعا ليس لأسباب طبيعية بل بسببنا نحن .. وبأيدي جنودنا الشجعان .

### ● لا تتحدى الجيش :

وخلال السنوات التى أمضيتها فى الأراضى لم يكن الرفض خيارا أفكر فيه . فقد كان مستحيلا فى إطار التعليم الذى كنت ألقاه فى المستوطنة أو فى المنزل .. كانت القواعد المرعية تقول إن بإمكانك أن تشكو ولكن أفعل ما تؤمر ولا تتحدى الجيش . وفى جماعات أخرى مثل نيتيفوت شالوم وهى حركة تدعو للصهيونية واليهودية والسلام كان من الممكن أن تتحدث عن الفظائع التى تحدث عند نقاط التفتيش ولكن رفض الخدمة لم يكن خيارا مطروحا . أصبح الرفض أمرا راسخا لدى عندما بدأت الدراسات العليا فى جامعة تل أبيب واتسع أفقى .. وبعد أن أطلعت على كتابات أخرى وقابلت أناسا آخرين وتعرفت على مجتمعات أخرى . بعد أن تحررت من المفهوم الصهيونى الدينى الشامل للمجتمع . وعلى عكس الرافضين الآخرين ، تطلب التحول وقتا أطول بالنسبة لى بوصفى واحدا من أشد المؤمنين بالحركة الصهيونية الدينية .

كما أن الرفض هو التزام أخلاقى نابع من حقوق المواطنة

---

كإنسان . وكل مَنْ ساهم فى التمييز العنصرى فى جنوب إفريقيا  
أو فى الإبادة الجماعية فى كوسوفو خالف واجبه الأساسى ليس  
كإنسان بل وكمواطن . وهذا هو ردى على الجدل الدائر حول  
مدى شرعية ما نقوم به فى حركة الضباط الراقضين.

### ● أساطير يهودية :

وبالنسبة لما يردده البعض عن حقنا المطلق فى الأرض ، فأنا  
لا أتحدث ولا أفكر بمنطق الحقوق المطلقة . هناك ذكريات وروايات  
تاريخية وأساطير. أنا لا أقلل من قوة الأساطير اليهودية عن هذا  
البلد . فقد نشأت عليها . ولكن مَنْ يحترم أساطيره عليه ألا ينكر  
أساطير الآخرين .

وإذا كان اليمين المتطرف يطالب بكامل أرض فلسطين ، فإن  
اليسار المتطرف يتحدث عن مسؤولية اليهود عن مأساة  
الفلسطينيين التى تعود إلى عام ١٩٤٨ عندما طرد نحو ٧٠٠ ألف  
فلسطينى من أرضهم وأصبحوا لاجئين . وفى الحقيقة ليس هناك  
فرق كبير بين مستوطنة ارييل المقامة على الأراضى المحتلة عام  
١٩٦٧ وكفار سابا المقامة داخل الخط الأخضر. وليس هناك فرق  
كبير بين جامعة تل أبيب التى بنيت على إنقراض قرية الشيخ  
مؤنس التى دمرت عام ١٩٤٨ ومستوطنة كفار داروم فى قطاع  
غزة .. ولكن لا بد من البحث عن حل وسط .. فاليوم نحن نعلم  
عما عاناه الفلسطينيون عند قيام دولة إسرائيل ومن المهم أن  
نتذكر ذلك جيدا . ولكن من المهم بدرجة مساوية أيضا ألا نلقى  
باللوم كله على ما يسمى بالصهيونية . ففي عام ١٩٤٨ كان هناك  
كفاح من أجل وطن ولكن فى ١٩٦٧ كانت هناك حرب فى وطن



---

مجاور يخص شعباً آخر وهذا الفرق لا بد أن يكون واضحاً . ومما يوضح هذا الفرق أن القانون الإسرائيلي لايسرى فقط إلا على مواطني دولة إسرائيل داخل الخط الأخضر بمن في ذلك العرب بغض النظر عن مدى المساواة بينهم وبين اليهود على هذه الأرض. ومهما كانت مظاهر عدم المساواة بين هؤلاء ، فإن كل مَنْ هم داخل الخط الآخر مواطنون إسرائيليون ولو بشكل رسمي . أما في الأراضي الفلسطينية فليس هناك قانون إسرائيلي وليست هناك حقوق مواطنة وهذا يؤكد أننا موجودون هناك لبعض الوقت كقوة احتلال . وهذا الاحتلال لا بد أن ينتهي وعندما ينتهي لا بد أن تقام الاحتفالات في إسرائيل . أدرك أن ذلك لن يحل كل مشكلاتنا ولكن على الأقل سيمثل بداية الحل .

### ● سلام نتتياهو :

وقد يسألني البعض عما إذا كنت أعتقد في إمكانية تحقيق نوع من التعايش السلمي مع الفلسطينيين وأنا أجيب بالتأكيد نستطيع أن نفعل ذلك . ولما لا .. وقد ورد في التلمود "أنا خلق الله وهو خلق الله . " ولكن مهمة التعايش السلمي يجب ألا تجرفنا بعيداً عن الهدف الأصلي وهو إنهاء الاحتلال .. أما الحديث عن المصالحة والسلام المثالي فلا يخدم إلا أهداف اليمين في محاولتهم الإبقاء على الوضع الحالي وتجنب التوصل إلى حل وسط حقيقي وواقعي . لا بد أن نكون واقعيين وصادقين مع أنفسنا فقبل أيام كتبت رداً على مثل هذه الدعاوى التي تتمسح بالسلام وقلت "لا تتحدثوا عن السلام .. فحتى نتتياهو تحدث عن السلام .. تحدثوا عن إنهاء الاحتلال أولاً " . إنني أؤمن بالفلسفة التي تقول إنك لكي تحدد الشر وتحاربه يجب ألا ترسم صورة مثالية للعالم

---

مثلاً فعل أفلاطون ومن تبعه . يمكن أن تشير بيدك وتقول " هذا شر " دون الاستناد إلى رؤية مثالية كنقطة مرجعية. عالم المثل أمر مخيف ومكان خطر جداً . انظر إلى جمهورية أفلاطون .. هؤلاء الذين لا يتسقون مع عالم المثل يطردون من الجمهورية . انظر إلى الرايخ الثالث أى الدولة النازية فقد كانت تقوم أيضاً على نظام شبيه بعالم المثل. أنا لا أعرف ما ستؤول إليه الأوضاع فى النهاية فى ظل هذا الوضع ولكن ما يهمنى فعلاً هو أن نحارب ضد ما يجرى الآن وهذا يكفى بالنسبة لى.

### ● احتيال أم غباء ؟

الطريق إلى السلام لم يبدأ بعد .. والبناء فى المستوطنات لم يتوقف . بل على العكس منذ توقيع اتفاق أوسلو البناء فى المستوطنات تضاعف .. الفلسطينيون لم يجدوا أبداً شريكاً فى عملية السلام . فالحكومة التى تتحدث عن السلام وتواصل فى الوقت نفسه بناء المستوطنات هى إما تمارس نوعاً من النصب والاحتيال أو أنها تتظاهر بالغباء . عندما ينتهى الاحتلال ويتم إخلاء المستوطنات وتقام دولة فلسطينية سينتقل التركيز على القضايا الداخلية الملحة .. وعلى سبيل المثال من السخف أن نتحدث عن المساواة فى المجتمع الإسرائيلى .. فقط انظر إلى مخصصات الميزانية لترى مدى التمييز ضد المجتمعات العربية فى التعليم والخدمات الصحية والبنية الأساسية . وفى نفس الوقت لا أود أن يضعنى البعض بين من يتعجلون التخلي عن الدولة القومية . كما أننى لا أعتزم أن أصب جام غضبى على الآباء الأولين للصهيونية .. ولا بد أن نتذكر الظروف التى عملوا فيها . لا أعتزم تجاهل الثمن أو المظالم ولكنى أعتقد أنهم أقاموا شيئاً حقيقياً هنا ويجب أن نكرس أرواحنا للحفاظ عليه .

---

دروس القرن العشرين توضح لنا أننا متجهون إلى مزيد من المشاعر القومية . فقد تكونت دول قومية أكثر مما تفكك منها .. فقد ظهرت دول أوروبا الشرقية كدول قومية وخرجت من عباءة الاتحاد السوفيتي السابق كذلك انفرط عقد هذا الكيان ونشأت على أنقاضه دول قومية كثيرة في القوقاز .

### ● ملامح العنصرية :

نحن لم نخترع مشاعر القومية والوطنية وخاصة في أوقات الأزمات .. انظر إلى ما حدث في الولايات المتحدة بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ . إنه أمر مرعب أن ترى إلى مدى يكون سهلا إثارة مشاعر الخوف المرضى من الأجانب والكراهية العمياء للآخرين . وهناك ، مثلما هو الأمر هنا ، يمكن أن تلاحظ ملامح العنصرية . ولذلك ، فإن الخطر الحقيقي على دولة إسرائيل هو الاحتلال وهذا يفسر لماذا يكون الرفض هو الموقف الصهيوني الصحيح الذي يجب أن أعتنقه الآن . عندما يصبح الرفض عملا جماهيريا ولا يظل عملا فرديا ، فإنه سيصبح رأيا سياسيا واجتماعيا . وللمرة الأولى منذ ٣٥ عاما يكون للجندى أو الضابط خياران إما أن يذهب للخدمة في الأراضي الفلسطينية أو يرفض . ومن يذهب لا يفعل ذلك بشكل آلي .. لقد اختار هذا الطريق . وهكذا يصبح الرفض طريقا ممهدا .

### ● تدمير ذاتي :

والرفض يشبه أيضا زرع فيروس في النظام .. إن لدينا آلة مبرمجة على التدمير الذاتي ومهمتها كرافضين هي قطع الدائرة الكهربائية عنها . وحكومتنا التي تغلب عليها المشاعر القومية لا تسمح بوجود برلمان يمكن أن يناقش هذه المسألة كما أن نظامنا



---

القضائي لا يستطيع أن يوقف تيار الاحتلال . ولا يوجد من يستطيع أن يوقف هذا التيار الآن .. لقد أفلتت المكابح (الفرامل) وانطلقت العربة المجنونة على طريق الخطر ولا ندرى أين يمكننا وقف هذا الجنون .. ولكننا سنحاول .

نعلم أن التاريخ حافل بإطلاق النار على الرسل وقادة التنوير.. ولكن لسنا مسؤولين عن إضعاف المجتمع .. إننا نبليغ رسالة فقط إننا لا نردد نفس الرسالة القديمة عن مدى صحة رسالتنا .. الرسل يأتون عادة من بين أفراد المجتمع ولكن ما أن يطلقون كلمة عما يحدث يتم نبذهم وربما نفيهم دون محاكمة . هذا ما حدث لنا. وقد يسألني أحد .. هل تحمل رسالة للمستقبل ؟ وأقول إن الأساس هو اتباع نهج العلمانية عندما نستقى الأفكار الميتافيزيقية من أساطيرنا القديمة . لا يمكن أن نعيش دون أساطير ولكن يمكن أن نتعامل معها بقدر من التهكم . ماذا يعنى حائط المبكى بالنسبة لى ؟ إنه يعنى كل شيء .. ولكن يمكن النظر إليه بقدر من العقلانية . وبمجرد أن تتخلص من الأحكام المطلقة والأفكار الميتافيزيقية والعالم الأسطوري الذى يقول إن هذه الأرض ملكنا نحن فقط لأن إبراهيم كان هنا يمكنك أن تحافظ على مشاعر الوطنية دون أن تنكر على الآخرين حقوقهم . إن اللغة النابعة من الأفكار الميتافيزيقية هى الأخطر على الإطلاق . والأمر الأكثر خطورة أن هذه اللغة يتحدث بها الجميع سواء من الأحزاب اليمينية أو حتى حزب العمال .

### ● المسيح لن يعود :

لقد قال البروفيسور بيشع ليبوفيتز أن أحد المعتقدات الأساسية لليهودية هى أن المسيح لن يعود أبدا . وطالما أنت

---



---

تنتظره يوميا ، فإنه لن يأتى . وفى تفسيرى فإن هذا يعنى بالتالى أن الحاضر هو الحاضر والمستقبل سيظل هو المستقبل والأحكام المطلقة ستظل أمرا يخص المستقبل الذى لن يكون حاضرا أبدا . الأحكام المطلقة هى أخطر شىء لأنها تحجب شعاع النور الذى يبدد الظلام . وهذا يفسر سبب إصرارى على عدم الخلط بين الدين والسياسة . عندما تفكر أن أعداءك هم أعداء الله ، فإن مشاعرك الأخلاقية تختفى . وعندما تتحدث بلغة الحق المطلق ستتوقف عن رؤية الناس أمامك باعتبارهم ينتمون إلى بنى الإنسان .. وهذه هى جذور المأساة التى نعيشها . إن القول " بأن الله أختارنا من بين كل أمم الأرض لخدمته " قول خاطيء . لا بد أن نعالج الإحساس بالتفوق العنصرى الذى أصبح شعورا طاغيا بيننا . لا بد أن نعرف أن هذه العبارة وردت فى سياق مختلف تماما عن مشاعر القومية الدينية التى نعيشها حاليا . إن الشعور بأننا متفوقون بدأ فى وقت كنا نعانى فيه الضعف تحت الحكم الرومانى ولهذا كان الهدف منه مواساة النفس والتعويض عما يلاقيه اليهود آنذاك من معاناة . وفى هذه الحالة لم يكن الإحساس بالعظمة ينطوى على خطر أما الآن فقد تغير الواقع وأصبح الضعيف قويا ولكنه ظل يردد نفس الكلمات ويعيش على ذات الأساطير القديمة .. وهنا تكمن المأساة الحقيقية .

## الفصل التاسع



### الجندي ديفيد شاشام هاريسون

- نقيم مجتمعاً عنصرياً يغذيه الخوف وتحميه جدران الكراهية
- المعاناة ليست حكراً على اليهود ولا تبرق مع شعب آخر
- ليس صحيحاً أن العرب هم الذين هاجمونا في كل الحروب
- مأساتنا في اعتمادنا على أسطورة حقنا المطلق في هذه الأرض
- إسرائيل الكبرى ، حلم سيء ، لليهود متعطشين لخوض حروب دائمة
- القتل الجماعي للفلسطينيين بدأ قبل التفجيرات الانتحارية بوقت طويل



---

إذا كانت الشهادات التي قدمها عدد من ضباط الجيش الإسرائيلي عن أسباب رفضهم الخدمة في الأراضي المحتلة قد تميزت بالمواجهة بين صحفية وضابط أو جندي سابق ؛ فإن هذه المواجهة تتميز بطابع فريد وهي أنها مواجهة بين الأم (مؤلفة الكتاب) والابن وهو أحد الرافضين الذين قرروا الاستماع لصوت الضمير وعدم المشاركة في هذه الجريمة التاريخية .. تبدأ هذه المواجهة الصادقة بخطاب كتبه الابن ديفيد وهو في السجن الذي أودع فيه بعد رفضه الخدمة في الأراضي الفلسطينية .. وهذا هو نص الخطاب ..

عندما كنت أجلس في السجن العسكري رقم ٤ كنت أقرأ تقارير مروعة تنشر يومياً في الصحف . لم أكن أرى صوراً أو أسمع أصواتاً .. كل ما كنت أراه أسلاكاً شائكة . إن العنف يولد العنف والقتل يؤدي إلى مزيد من القتل والانتقام يفجر جولات وجولات من الانتقام .. والسؤال : لماذا نتسبب في كل هذه المعاناة لغيرنا ؟ لماذا نتسبب في مزيد من الألم للآخرين ولأنفسنا ؟ ماذا يكمن وراء إحساسنا بالفخر ؟ ولماذا يعتبر القتل أمراً له مكانة عالية في أعيننا ؟

أنا جندي في الجيش الإسرائيلي سجت لرفض المشاركة في

---



---

قمع شعب رافض للاحتلال . موقفى نبع من إحساسى بأنه لا يمكن أن تكون يهودياً ابن لاجىء وتقمع لاجئين . إننى يهودى وأخشى الله ولذلك فإننى أرى أنى أحرم إنساناً من الحرية عندما أخدم فى الأراضى المحتلة . نعم لقد سجنتم ولكنى أشعر بحرية أكبر بكثير من إسرائيليين أعرفهم جيداً .

إننى اهتم بالإنسان كإنسان .. أهتم بهؤلاء الذين يحرمون من كل ما أتمتع به مثل الحق فى الحياة والطعام والملبس والصحة الجيدة والترفيه والحلم بالنجاح وركوب سيارة . اهتم بهؤلاء الناس الذين يهانون يومياً ويحرمون من حق العمل ويسجنون داخل مدنهم وقراهم وأشعر بالقلق على من تهدمت بيوتهم وخربت بساتيتهم .

أعرف أن مشاعر الكراهية المروعة تجاهى مبررة . وهذه الكراهية تقود إلى أفعال مروعة مثل هؤلاء الأشخاص الذين يفجرون أنفسهم . ولكن نحن الذين نخلق تلك الظروف التى تصنع مثل هذه الوحوش الضارية . إن خوفى يختلف عن خوف كثير من الإسرائيليين .. أدعو إلى القيام بحركة تصحيحية وليس إلى مزيد من الدمار . لقد سجنتم وهأنا اليوم حر ولكن الألم يعتصرنى .. يحدونى أمل أن يؤدى سجنى إضافة إلى سجن آخرين مثلى إلى التفكير بعمق فى مأساة الفلسطينيين .. ثم ، فى النهاية ، التفكير فى مأساتنا نحن .. لم يجعلنى سجنى أتحلل من مسئولياتى . كان سجنى هو الطريق الوحيد للمشاركة بشكل إيجابى فى المجتمع الإسرائيلى اليوم . وحتى إذا لم أكن أخدم فى الجيش، فإننى كنت سأضطلع بهذه المسئولية .. إننى لست ضحية ..

---

بل على العكس إنها مسئوليتى أن أرفض المشاركة فى عمليات القمع .

أنا جندى وأريد خدمة بلادى .. وأود أن ننظر فى أعين هؤلاء الذين نقمعهم ونحاول فهمهم .. إن مخاوفنا ستتبخّر إذا حققنا المساواة بين الشعوب والأفراد . سوف نظل نعيش فى خوف طالما بقينا ننكر على الآخرين حقوقهم الأساسية .

إن انتصار القوة ليس انتصاراً على الإطلاق . كما أنه لا يبرر معاناة الآخرين ولا بد أن نصحح مسارنا بأنفسنا وساعتها سنكون بعقيدتنا أقوى من الدبابات . يحدونى أمل أن ينظر الآخرون إلى الواقع حولهم ويساهمون فى التغيير ..

ديفيد شاشام هاريسون ..

يوليو ٢٠٠١

كانت هذه هى نص الرسالة التى كتبها الجندى ديفيد بعد سجنه بسبب رفضه الخدمة فى الأراضى المحتلة . فماذا تقول والدته رونيت شاشام ( مؤلفة الكتاب ) ؟

تقول رونيت : إن ديفيد ( ١٩ عاماً ) شاب يتمتع بحس مرهف فهو يعزف الموسيقى ويدرس الموسيقى فى الأكاديمية الموسيقية بالقدس بل إنه يؤلف الموسيقى ويلحن الكثير من الأغنيات بنفسه.. ومنذ يناير وحتى أغسطس عام ٢٠٠١ خدم ديفيد فى الجيش جندياً نظامياً وفى هذا الوقت أعلن لقادته أنه سيخدم فقط داخل الخط الأخضر للدفاع عن إسرائيل داخل حدودها ولن يقاتل فى الأراضى المحتلة . ولكن بعد أربعة أشهر من التدريب أرسلوه إلى الأراضى المحتلة ضمن فريق فنى لتقديم الخدمات لوحدة قتالية .

---

ولكنه رفض فسجن ٢٨ يوماً .

عندما دخل ابني ديفيد الجيش لم يكن لدى فكرة عن كيفية رد فعله بالنسبة لأوامر الخدمة في الأراضي المحتلة .. فقد اتخذ قراره بنفسه وبشكل مستقل وتحمل مسئولية ذلك . ورغم أننا نعيش في بيت سياسى الطابع وغالباً ما تدور بيننا مناقشات ايدىولوجية إلا أنني لم أتوقع الإجابات التى رد بها على تساؤلاتى فى هذه المقابلة .

وبعد سجنه ٢٨ يوماً لرفضه الخدمة تم تسريحه من الجيش بناء على نصيحة من الضباط ثم تطوع للعمل فى الخدمة العامة التى كانت حتى عهد قريب مقصورة على الفتيات . وبالنسبة لديفيد وباقى زملائه من الرافضين، فإن الخدمة فى الجيش شئ والخدمة فى الأراضي المحتلة شئ آخر .. هؤلاء الرافضون يعتقدون أنهم يخدمون الوطن من خلال رفضهم الخدمة فى الأراضي المحتلة .

وفى محاولة لتفسير قراره .. كانت هذه المواجهة بين الابن ديفيد ووالدته رونيت شاشام .

### ● الابن

لأننى من هذا المجتمع وبداخلى ضمير يقظ فإنى أصرخ فى كل من حولى .. فى أسرتى وأصدقائى بأن ينظروا إلى الواقع وأن يلتفتوا بقليل من الانتباه . إن وضعنا الحالى يشبه التفرقة العنصرية التى كانت سائدة فى جنوب إفريقيا قبل سنوات . إن دولة إسرائيل تجبر مجموعة ضخمة من البشر على العيش عيشة يرفضها أى يهودى فى أى مكان فى العالم . معظم أصدقائى

يتحدثون عن الدفاع عن أنفسنا في مواجهة العرب حتى لا يلقونا في البحر . وأنا أنظر إلى هذا الأمر من زاوية أخرى .. إننى أرى أعمال الدفاع عن النفس تبدأ وتنتهى من خلال العدل والمساواة والأخلاق . إن اليهود يرون أنفسهم دائماً في صورة الضحايا . إنهم يرون العرب كاذبين ومعتدين . أنظر إلى الشعبين من وجهة نظر مختلفة . أرى العرب يعيشون في ظل احتلال قمعى وأنا أفهم لماذا يرى أصدقائى أنفسهم ضحايا بعد كل تفجير انتحارى . ولكن طبقاً للفكرة السائدة المبنية على أفكار مسبقة، فإن اليهود يعانون بشكل وكأنهم رمز المعاناة في التاريخ .. على الأقل في التاريخ الحديث . ولكن احتكار المعاناة يعنى أن الآخرين لا يعانون. ويعنى أيضاً أن المقاومة الفلسطينية غير مشروعة . إننى لا أستطيع أن أفهم أن معاناة اليهود على مر العصور يمكن أن تبرر الاحتلال الذى ينكر على الفلسطينيين جميع حقوقهم . إذا كان لدينا ذرة من إنسانية كنا سننظر إلى أنفسنا فى المرآة مرة واحدة ونقول « إذا كان شعبنا كافح من أجل حريته وبكل ثمن للحفاظ على هويته لماذا نواصل العدوان الآن على شعب آخر ؟ »

إننى أرى رفض الخدمة فى الأراضي المحتلة يماثل مسئوليتى للدعوة للمساواة .. إننا كإسرائيليين نردد دائماً أن العرب هاجمونا فى أعوام ١٩٤٨ و ١٩٥٦ و ١٩٦٧ و ١٩٧٣ ومن ثم فلا بد أن نتوقع منهم هجوماً جديداً . ولكن لم يتوقف أحد ليسأل إن كان العرب حقاً هم الذين هاجمونا فى كل هذه الحروب !!!

## ● الأم

هل يعنى كلامك أنك تريد أن تتخلى إسرائيل عن تفوقها وقوتها لحساب العرب ؟



## • الابن

إن مسؤولية القوى أن يهتم بالضعيف . إنها مسؤولية أخلاقية .  
ويعنى آخر الاهتمام بالضعيف لا يعنى التخلي عن القوة . مثل  
هذه المساواة والعدالة تمثل شروطاً مسبقة للأمن .. إننى لا أعتقد  
فى أى شىء لا يضمن المساواة . هناك مَنْ لا يشغل باله كثيراً  
بمثل هذه الأمور ويقولون « لماذا نتعب أنفسنا بمسألة الفلسطينيين؟  
لدينا كثيراً من الفقراء فى وطننا هم أولى برعايتنا واهتمامنا ..  
وأنا أقول إنك لا تستطيع أن تفرق بين الحالتين فغزة مثلاً يطحنها  
الفقر بسبب الاحتلال ولأن هذا الاحتلال يعرقل سبل نمو القطاع  
وتطويره . والأموال المخصصة لتمويل احتلال غزة جاءت على  
حساب مخصصات المدن والبلدات الإسرائيلية ، ولهذا فإن فقر  
هذه المدن والبلدات الإسرائيلية له علاقة بما يعانيه قطاع غزة من  
فقر . إن معركتنا ليست من أجل الوجود كما يردد الجنرالات  
ورجال السياسة.. إن معركتنا هى معركة فكرية فى الأساس . إنها  
ليست مسألة وجود بل تتعلق بأسطورة حقنا المطلق فى هذه  
الأرض . الاحتلال ليس ضرورة . إنه تطبيق عملى لاعتقاد زائف  
بملكيتنا لتلك الأرض الممتدة من نهر الأردن إلى البحر المتوسط .

لقد وصف رجل الدين اليهودى البارز بيشع ياهو لييوفيتز  
«إسرائيل الكبرى» بأنها « حلم سيئ لأناس مهتمين بخوض  
حروب مع العرب من أجل الأرض » وقال لييوفيتز : إن السبيل  
الوحيد أمام بقاء إسرائيل هو إما أن تعود إلى حدود ١٩٦٧ أو  
استعباد « البقية الباقية من أصحاب هذه الأرض الأصليين » وإذا

---

لم تعد إسرائيل إلى حدود ١٩٦٧ « فإننا سنتحدر من مرتبة الإنسانية إلى البربرية » .

### ● الأم

أنت تعيش فى مكان يتطلب منك أن تعرف نفسك من خلال جنسيتك حتى لو كنت لا تريد ذلك .. فهل ترى جنسيتك عنصراً محورياً فى هويتك ؟

### ● الابن

لا أنكر أهمية جنسيتى . إننى أرى نفسى يهودياً . وأنا أتحمل أيضاً المسؤولية عن أفعالى . إننى أستطيع أن أحارب الدعاوى الوطنية إذا كانت ستجلب الشرور وأستطيع فى نفس الوقت أن أدفع عنها وأقول « إننى أحافظ على التقاليد .. إننى يهودى ولهذا يجب أن أحترم أولئك الذين تختلف هوياتهم عنى » ، إذا كان الشخص يشعر بالارتياح تجاه نفسه فإنه لا يجد أى مشكلة فى التعامل مع الآخرين .. إننى أريد أن أعرف كل الناس من جميع الجنسيات . إذا كان علينا أن نتعلم من الآخرين . يمكننا أن نتعلم من العيش فى الشرق الأوسط ومن المسلمين حولنا . ولكن عندما تكون دائماً فى حاجة للدفاع عن هويتك، فإن ذلك يكون مبرراً للحرب . الوطنية الإسرائيلية تعنى فى الواقع افتراض وجود عدو فى المقابل . فالوطنية أو الهوية اليهودية تحول اليهودى الروسى واليهودى الأثيوبي والألمانى اليهودى واليهودى الشرق أوسطى إلى يهود يحملون هوية واحدة تقوم على أساس أنهم « غير عرب ».

## ● الأم

لنتحدث عن الخوف وهو جانب مهم من جوانب حياتنا ..  
فالخوف هو الذى يشكل إلى حد كبير وعينا سواء فى الأوقات  
العصيبة مثل حدوث تفجيرات انتحارية أو فى الأوقات الهادئة ..  
بمعنى أنه يوضح معنى وجودنا .. ويجعلنا دائماً نخشى أن يقوم  
العرب بمهاجمتنا .. وحتى إذا كان هذا الخوف مجرد تصور، فإن  
آثاره لا يمكن إنكارها .

## ● الابن

الخوف هو واحد من أكبر العقبات أمامنا . نحن فعلاً خائفون  
وليس أمامنا الكثير الذى يمكن أن نفعله . لقد بنينا مجتمعنا على  
أسس من الخوف وصنعنا حوله السياج والجدران العازلة  
ووضعنا الدبابات على حواجز التفتيش . هذه الآليات شوهت  
صورتنا.. إننا منشغلون دائماً بالدفاع عن أنفسنا ضد العدو  
الفلسطينى الذى أقمنا جداراً وسجنه خلفه . فى الأساطير حكاية  
تقول عندما تبني جداراً بينك وبين عدوك فأنت تواصل تعلية  
الجدار حتى تحجبه عنك وهنا لا ترى عدوك بل ترى خوفك منه .  
هذا الخوف هو الذى أعمى بصائرنا وملأنا بالكراهية لدرجة أننا  
الآن لا نستطيع حتى رؤية هذا الذى يواجهنا . لا بد أن نبحث عن  
مصادر خوفنا ونعالجها بدلاً من أن نتجاهلها .

وربما أنا أيضاً مصاب بالعمى .. بمعنى لا أرى أشياء معينة  
فكل إنسان له نقاط سوداء لا يراها والذى يرى كل شيء هو الله  
وحده وأنا لا أرى كل شيء . إن أهم شيء عندي هو ما ورد فى  
الكتاب المقدس « لا بد أن تحب جارك كحبك لنفسك » ولذلك فما أن

---

ترى الشخص كإنسان فعلاً مساو لك فى كل شىء ، فإنك تزيل  
ما على عينيك من غشاوة .

### ● الأم

السؤال هو : ماذا تختار أن تراه وماذا تختار أن تغض عنه  
عينيك ؟

### ● الابن

الجندي الذى يطلق النار من دبابه على طفل هو جندي أعمى ..  
الأمر هنا يشبه قيام فرقة إعدام بإطلاق الرصاص على فرد واحد.  
فكل جندي من هذه الفرقة لا يعلم أن فى بندقيته الرصاصة  
القاتلة . الجيش يغذى هذا الإحساس بالعمى والمجتمع أيضاً .  
فالمجتمع يقول للجندي « لا تنظر وراءك كان عليك أن تفعلها والآن  
اذهب إلى الشاطئ وعش حياتك .. أنت بطل !!؟

### ● الأم

هل تقصد أنك ضحية الظروف ؟

### ● الابن

أنا لست ضحية .. أنا أتبع ضميرى . نعم .. لقد عوقبت على  
ذلك .. ولكن هؤلاء الذين يقاتلون هذه الحرب التى يفترض أنها لا  
يمكن تجنبها هم ضحاياها . إنهم سيضطرون ذات يوم للوقوف  
أمام أطفالهم ليقولون لهم « ماذا يمكن أن أقول .. كنت أعتقد أننى  
لا أملك خياراً آخر » . سيكونون ضحايا شعورهم بالذنب ساعتها.  
ولكن الأمر الأكثر مأساوية هو أن الفلسطينيين يصبحون ضحايا



---

مرتين .. المرة الأولى من خلال الاحتلال والمرة الثانية بما تركه هذا الاحتلال من إحساس متزايد باليأس ومما قدموه من تضحيات أغلاها فلذات أكبادهم الذين ضحوا بأرواحهم فى هذا الكفاح .

### • الأم

صحيح أن الفلسطينيين خسروا كثيراً وأن مشاعر اليأس التى لديهم يصعب قياسها ولكن هذا يطغى على أسئلة أخرى أهمها .. كيف يمكن مداواة هذه الجراح وما نوع المجتمع الذى يمكن أن يبنى على ذلك ؟

### • الابن

ظاهرة الانتحاريين مأساة ولكن علينا أن نتذكر أن القتل الجماعى ضد الفلسطينيين بدأ قبل التفجيرات الانتحارية بوقت طويل .

### • الأم

سياساتنا الفاسدة والعدائية تؤثر على صحة مجتمعنا . وبالمثل يمكن أن يقيم الفلسطينيون مجتمعاً على أسس الانتقام والشهادة . فكيف يمكن الحكم عليه ؟

### • الابن

ربما تخف الآلام مع مرور الأيام .. ولنترك ذلك للمستقبل .

### • الأم

دعنا نتحدث عن رفضك بصفة عامة هل يرجع إلى أسباب

---

---

سياسية تمتد خلال السنوات الماضية ، فالرفض كان إلى حد ما تعريف لك وقادك إلى التفكير بصورة سياسية .

### • الابن

أنا مشغول بالحب وليس بالسياسة . عندما واجهت الأوامر التي اعتبرتها غير أخلاقية فهمت أنه لا توجد هنا ولا هناك مدن فاضلة . وعندما طلب مني أن أذهب إلى الأراضي المحتلة لأشهر سلاحى فى وجه طفل فلسطينى فى وجه شقيقى الفلسطينى تمزقت عقيدتى التى كانت تقول إن الإنسانية دائماً تنتصر فى وجه الضرر وتحتم على أن أواجه الواقع ، واضطرت إلى العمل بالتوافق مع مبادئى التى أقتنع بها ، وأقول بلغة العمل « ابتعد عن الشيطان وافعل الأعمال الجيدة »

### • الأم

ألم يكن الانضمام إلى الجيش قرارك ؟ أنا لم أطلب منك ذلك الأمر من قبل ولكن ماذا يعنى الجيش بالنسبة لك ؟

### • الابن

الجيش يدافع عن الحدود ، إنه يشبه مملكة الحيوان يقسم الرجال أنفسهم إلى مجموعات ، تحدد كل مجموعة قطعة من الأرض وتتولى حراستها . وهذا هو هدف الجيش كما أرى . ذلك ليس جيداً ولا سيئاً ولكن عندما يصبح الجيش القوة المسيطرة على حياتنا يتحول إلى خطر .

يدافع الجيش الإسرائيلى عن الهوية يخفى خلافاتنا ويوحدها ، كما يمحو أعداداً ضخمة من ذكرياتنا ويشكل مجموعة موحدة .

---

وتأتى بطاقة دخولك إلى المجتمع الإسرائيلي عبر الجيش ويتحول الروس والأثيوبيون إلى إسرائيليين عبر الانخراط فى الجيش . كما أن الجيش يعكس هرم السلطة فى المجتمع الإسرائيلى ، فمعظم الوحدات التى ليست من الصفوة تتكون من اليهود الشرقيين وهم أشخاص يضطرون إلى إعداد الساحة للضباط الأفضل والأكثر شجاعة وشهرة لدى إسرائيل .. ومن الواضح أنهم اليساريون الأشكيناز الذين يحملون مشعل الأسطورة الصهيونية . إنه الشخص الذى يعتقد أن المقاتل الشرقى همجى . وكان الحقيقة أن اليهودى الشرق أوسطى يجب أن يظهر كرهه للعرب . وإلا سيجد نفسه مرتبكاً معهم . فقط عندما يتخلص الشرقيون من عروبتهم يكافئهم المجتمع الإسرائيلى بمنزلة رفيعة . وفى نفس الوقت يحصد يهود الاشكيناز فوائد بقاء منزلتهم الرفيعة . فهم يبنون صورة مضيئة لأنفسهم ولكن موقفهم تجاه العرب ليس مختلفاً عن موقف رفاقهم فى الجيش . حتى لو أن اليهود العرب مسموح لهم باعتراف هويته بصفة كلية فإننا سنبقى مجتمعاً عنصرياً . لقد خدمت فى أحد أدنى الوحدات فى الجيش وأخبرت قائد اللواء الذى كان يضمنى أننى لن أكون جندياً محارباً فى الأراضى المحتلة لأن الفلسطينيين لهم الحق وعليهم المسئولية فى الدفاع عن أنفسهم طبقاً لمعاهدة جنيف . وقلت إن المستوطنات غير شرعية وأننى لن أخدم فى الأراضى المحتلة لأنه من المحرم احتلال مناطق سكنية . فقال القائد لى « حسناً ، لن نرسلك إلى الأراضى ولن تصبح مقاتلاً » وأرسلنى إلى وحدة تتولى تقديم خدمات للمقاتلين فى الأراضى .

---

---

## ● الأم

دعنا نعود إلى رفضك . أنا أتذكر اللحظة التي أدت بك إلى  
الرفض .

## ● الابن

كنا نشاهد عبر التليفزيون قوات سلاح الجو الإسرائيلية  
تقصف غزة باستخدام طائرات أف ١٦ فور بدء انتفاضة الأقصى  
ورأيت الفلسطينيين يتظاهرون في الشوارع مطالبين بحقوقهم  
الأساسية. عندما رأيت استخدام القوة بشكل غير مبرر ضدهم  
وكان اختياري قد تبلور .

أصبت بالمرض بعد مشاهدة عمليات تفجير المنازل لإظهار  
قوتنا . لقد عاقبوا الجميع على أعمال ارتكبها أفراد .

## ● الأم

هل تشعر بأنك كبرت خلال فترة السجن ؟؟

## ● الابن

لقد كان موقع تحرر بالنسبة لى ، فالتحرك ضد الضمير هو  
السجن الفعلى ومنذ رفضت العمل ضد ضميرى وأنا أشعر بأننى  
رجل حر حتى لو كنت فى السجن . أشعر بعدم الراحة عندما  
لا أكون فعالاً وعندما أشعر بأن الحياة تمر بجانبى . ولكن البقاء  
فى السجن جعلنى أشعر بأننى فعال .

تعلمت أن الحرية لا تعتمد على المحيطين بى مثل الأسرة  
والأصدقاء ولا حتى الموسيقى ولكن على أنا . والسؤال الذى  
واجهته هو كيف أحرر روى ؟ فى البداية وجدت ذلك صعباً فهم



---

يصرخون لك وأنت تقف انتباه وتؤدي التدريبات . فى البداية جعلنى ذلك غاضباً من النظام . كنت أنام بينما الآلام تقصم ظهرى من التدريبات اليومية . فى النهاية فهمت أنه ليس مهماً كم مرة يصرخون لى أصبحت قادراً على أن أبقى حراً وأقهر حالة الغضب التى كنت أعيشها . وبعد فترة قصيرة فهمت أنه لم يكن صعباً جداً أن أقف انتباه لساعات من أجل هدف . إذا خضع الإنسان ستتألم الروح .

### ● الأم

ذكرت أيضاً شيئاً عن السجن الذى عزز صوتك .

### ● الابن

فى السجن ، تمثل شيئاً أكبر منك وحدك ؛ تمثل الكفاح بصفة عامة ضد نظام كامل . تصبح رمزاً للنضال . إنها تجربة قوية . أنا أيضاً اكتشفت أنه عندما تضع نفسك فى خدمة هدف يصبح الذات غير مهم وعندما لا تنبع كلماتك من رغباتك الخاصة يكون صوتك واضحاً ويصل إلى المزيد من الناس .

### ● الأم

عندئذ كتبت خطابك ؟

### ● الابن

كتبت بشكل متواصل داخل السجن . أردت أن أكتب شيئاً صلباً ولكنى لم أستطع . احتفظت بالأوراق التى كنت أمزقها ، وفى يوم بعد أن عدت من عمل شاق أمسكت صحيفة خلال الغداء ورأيت عنواناً ضخماً بلون الدم . كان ذلك بعد أيام من العناوين الكبرى الحمراء عن عمليات انتحارية واغتيالات وكان ردنا عبر

---

التفجيرات والاغتيالات . لم أستطع أن أنتظر المزيد وخرج الخطاب منى مثل الصرخة خلال خمس دقائق .

قرأت الخطاب بصوت عال على الرجال الذين كانوا معى فى السجن ، وقال بعضهم « أنت تستحق المزيد من الأعوام داخل السجن على قول ذلك » ولكن معظمهم أبدوا احترامهم لى على اتخاذ ذلك الموقف وقالوا هناك شخص اتبع ضميره وتصرف طبقاً لقيمه .

### ● الأم

لدى سؤال يثير القلق : كيف يكون الرفض أكبر من تطهير الضمير .. عندما رفضت القتال ربما كنت تقول « لا أريد أن تتسخ يداى » هل كنت تعتقد أن الرفض يذهب أبعد من استرضاء ضميرك ؟

### ● الابن

نعم عزلنى قرار الرفض عن المجتمع . اليوم يرانى المجتمع خائناً . غداً قد يعتبر المقاتلون أشخاصاً لا يمكن الاقتراب منهم . كتبت خطابى لأنى أردت أن يكون لى تأثير على الناس . وفكرت أيضاً فى اليوم الذى سأخبر فيه أبنائى بأننى لم أشارك فى الظلم .

### ● الأم

تقول إن القرار أجبرك على رؤية أشياء من منظور سياسى .

### ● الابن

قبل عام كنت شخصاً مختلفاً أما الآن فلست مبهجاً . ربما أقل تفاؤلاً . ينتابنى القلق حول السنوات القليلة المقبلة متى سنؤكد

---

---

صحة الاختيارات التي فضلها مجتمعنا ومتى سيعود من أصيبوا  
بجروح أو أقعدوا إلى المشاركة في فعاليات المجتمع .. وما نسميه  
الدرع الدفاعي لن يصمد كثيراً أمام الالمهم . هذا في الواقع  
ما روعني . ربما إذا ما انغمست في نفس ميكانيكية الدفاع مع  
أصدقائي ، لم أكن لأشعر بالعذاب .

### ● الأم

في الوقت الذي نشاهد فيه العمليات الانتحارية وتدمير المدن  
الفلسطينية ومخيمات اللاجئين تشعر بأننا نعيش في دمار غير  
محدود لدرجة أنه من الصعب أن ترى المستقبل .

### ● الابن

نعم ولكن المستقبل هناك . الأفق لا تختفي . بعض الناس  
يعتبرون الأفق كنهاية ما يرون . أنا أرى تراجعاً متواصلاً .  
فالمجهول دائماً يرافقنا ولا يذهب بعيداً . وذلك يجعلني متفائلاً كل  
يوم تكون الشمس جميلة في شكل مختلف حتى رغم أنها توضح  
حالة الرعب التي نعانيها . وكأنها تقول « يذهب جيل ويأتي جيل  
لكن الأرض باقية إلى الأبد » وعندما أنظر في الأفق أرى أنه  
لا يمكن أن يصل إليها أحد كما أنها في صورة الكمال وذلك  
يملأني بالأمل ..

رقم الإيداع  
٢٠٠٢/١٨٩٢٠  
الترقيم الدولي  
977-08-1135-1





# الداعم الرسمي لملف مونديال ٢٠١٠



وزارة الطيران المدني  
الشركة القابضة لمصر للطيران

مصر للطيران  
**EGYPTAIR**







جاي جروسمان



عساف أوروبون



شاماي ليبوفيتز



رامي كبلان



يانيف ايزكوفيتز



ايشاي روزن زيفي



تال بيلو



ديفيد شاشام هاريسون



يوفال لوتيم

## هذه الكتب

هناك مئات وربما آلاف الكتب التي رصد مؤلفوها كل ما يتعلق بالمشروع الصهيوني منذ وضعه، عصابات الاستيطان اليهودي إلى أرض فلسطين ثم إعلان قيام الدولة وحتى اليوم. وهناك أيضا مئات وربما آلاف الكتب عن اليهودية كدين واليهود كشعب وكل ما يتصل بروايات على مدى التاريخ..

ولكن قد تكون المرة الأولى التي يخرج فيها رجال من داخل المؤسسة العسكرية الإسرائيلية التمرد في وجه جيش الدفاع الذي يمثل قدس أقداس الدولة اليهودية ويوقعون وثيقة تار فيها الشك في الاسرائيلي ويهود العالم مباشرة.

ها ١٩٨٢/١٢/١٩  
والقذافي  
شهادته  
١٩٩٩  
دليل إدانة أمام المحاكم الدولية لجرائم الحرب أو حتى صرخة لا يقاظ ضمير العالم.

Bibliotheca Alexandrina



0554152

